دولة ليبيا

جامعة الزاوية

إدارة الدراسات العليا والتدريب

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

أثر تحوّل العلاقات الإسنادية ومكمّلاتها في الجملة العربية

(دراسة وصفيّة في السّور المسبّحات)

رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبة

كوثر خليفة محمد عبدالعزيز

إشراف

د. الطاهر سويسي المنتصر

2026/2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الزمر / الآية "10"

الإهـــــــــــداء

إلى عُشّاق العربية، وعاءِ القرآن الكريم، وإلى الغيورين على أمتنا ولغتها.

إلى والديَّ وزوجي – رحمهم الله – رحمةً واسعةً وأسكنهم فسيحَ جنّاته،

إلى أبنائي الأعزّاء وإخوتي وأخواتي – حفظهم الله–

إلى أستاذي المشرف، وكلّ من علّمني حرفًا،

إليهم جميعًا أُهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع عربونَ وفاءٍ، راجيةً من الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للدارسين والباحثين.

الشّكر والتّقدير

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تتحقق الغايات.
أتقدّم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور: الطاهر سويسي على ما قدّمه من توجيهٍ علميّ، ودعمٍ متواصل، وتشجيعٍ كريم؛ كان له الأثر البالغ في إخراج هذا العمل بصورته النهائية.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته، وأن يُبارك له في عُمره وعلمه وعمله.

الملخّص:

تأتي هذه الدراسة في إطار الاهتمام بالنحو القرآني بوصفه ميدانًا يكشف عن مرونة اللغة العربية ودقّة نظمها البياني، وتهدف إلى دراسة أثر تحوّل العلاقات الإسنادية ومكمّلاتها في بناء الجملة العربية في النّص القرآني، من خلال تحليل العلاقات الإسنادية في البنيتين الاسمية والفعلية، وبيان كيفية توظيف هذه التحوّلات لخدمة المعنى والدلالة والبيان، مع إعادة النّظر في مفهوم الإسناد من زاوية التحوّل لا من زاوية الثبات.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي من خلال تحليل نماذج مختارة من سور المسبّحات، للكشف عن أثر التحوّلات الإسنادية في تشكيل البنية النحوية وانعكاس ذلك على المعنى، وتناولت الدراسة النواسخ الفعلية والحرفية وأثرها في إعادة بناء الجملة الاسمية، إلى جانب مظاهر التقديم والتأخير والذّكر والحذف في الجملة الفعلية، وما يترتّب عليها من دلالات نحوية وبلاغية، وتوصّلت نتائج الدراسة إلى أنّ التحوّلات الإسنادية ومكمّلاتها تُؤدّي دورًا جوهريًا في تكثيف الدلالة وتوجيه الخطاب، وأنّ النواسخ تُسهم في إبراز مرونة التركيب العربي، كما أظهرت النتائج أنّ مكمّلات الإسناد، كالمفاعيل، والحال، والتمييز، تؤدّي وظيفةً أساسيةً في تحديد جهة الفعل وملابساته وإزالة الإبهام، وتعزيز الأثر التصويري والبلاغي في البيان القرآني.

وقد بيّن التطبيق أنّ هذه الظواهر تُوظّف بدقّة وفق ترتيب معنوي يخدم البيان قبل التركيب، مما يبرز إعجاز النّظم القرآني في خدمة المعنى.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الإسنادية، التحوّلات الإسنادية، المكمّلات الإسنادية.

Abstract:

This study falls within the scope of interest in Qur'anic syntax as a field that reveals the flexibility of the Arabic language and the precision of its rhetorical structure. It aims to examine the impact of transformations in predicative relations and their complements on the construction of the Arabic sentence in the Qur'anic text. This is achieved through analyzing predicative relations in both nominal and verbal structures, and clarifying how these transformations are employed to serve meaning, significance, and rhetorical expression, while reconsidering the concept of predication from the perspective of transformation rather than stability.

The study adopts a descriptive, analytical, and applied approach by examining selected examples from the Musabbihāt surahs, in order to uncover the effect of predicative transformations on syntactic structure and their reflection on meaning. It addresses verbal and particle-based abrogators (nawāsikh) and their role in restructuring the nominal sentence, in addition to phenomena such as fronting and postponement, mention and omission in the verbal sentence, and the resulting grammatical and rhetorical implications.

The findings reveal that predicative transformations and their complements play a fundamental role in intensifying meaning and directing discourse. The abrogators contribute to highlighting the flexibility of Arabic structure. The results also show that complements of predication—such as objects, circumstantial qualifiers (ḥāl), and specification (tamyīz)—perform an essential function in clarifying the direction and circumstances of the action, removing ambiguity, and enhancing the descriptive and rhetorical effect in Qur'anic expression.

The applied analysis demonstrates that these phenomena are employed with precision according to a semantic order that prioritizes meaning before structure, thereby underscoring the miraculous eloquence of the Qur'anic composition in serving meaning.

Keywords: predicative relations, predicative transformations, predicative complements.

المقدّمة

الحمدُ لله الذي اصطفى العربيةَ لكتابه، وجعل النحوَ علمًا لفهم مراده، والصلاةُ والسلامُ على من نزل عليه الوحيُ بلسانٍ عربيّ مبين، سيّدِنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

تنفرد اللغةُ العربيةُ بخصوصيةٍ بنائيةٍ جعلتها أرفعَ اللغات قدرةً على توليد المعاني وتكثيف الدلالات، إذ تقوم في جوهرها على النظام النحوي بالغ الدقة، تتشابك فيه الصلات بين المكوّنات على نحوٍ يجعل من كل جملة كيانًا متماسكًا ينبض بالدلالة.

الإعجازُ ليس في ألفاظها فقط، بل في طرائق انتظامها، والعلاقات التي تنشأ بين مفرداتها ضمن نسقٍ إسناديٍّ مُحكم، تتداخل فيه البنية والتركيب والدلالة في شبكةٍ واحدة.

وحين نزل القرآنُ بلسانٍ عربيّ مبين، كشف عن الطاقات الكامنة في هذا النظام، فكانت تراكيبه مثالًا للفعل النحوي في أسمى مظاهره، إذ تتبدّى في نظمه العلاقاتُ الإسناديةُ بأرقى صورها، ثباتًا حين يقتضي المقام الثبات، وتحوّلًا حين يتطلّب المعنى الانزياح عن المألوف إلى الأبلغ.

وهكذا تحوّل الإسناد في النّص القرآني من علاقةٍ نحويةٍ جامدةٍ إلى أداةٍ فنيةٍ تستجيب للمقاصد التشريعية والبيانية، وتعبّر عن المعنى في أدقّ تجلّياته.

فالإسناد روحُ الجملة، وكلُّ تحوّلٍ يقع فيه — رفعًا أو نصبًا أو تقديمًا أو حذفًا — ليس عبثًا، بل هو اختيارٌ نحويٌّ مقصودٌ يعيد توجيه البنية لتؤدّي وظيفةً جديدة.

من هذا المنطلق غدا التحوّلُ الإســناديُّ ميدانًا خصــبًا للكشــف عن عبقرية النظام اللغوي العربي، وقدرته على الانفتاح الدلالي دون أن يفقد انضباطه التركيبي.

وفي ضوء هذا التصوّر، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ «أثر تحوّل العلاقات الإسنادية ومكمّلاتها في الجملة العربية: دراسة وصفيّة في السور المسبّحات»، لتُعيد النظر في مفهوم الإسناد العربي من زاوية التحوّل لا من زاوية الثبات.

مشكلةُ الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من التساؤل الرئيس:

- ما أثر تحوّل العلاقات الإســـنادية ومكمّلاتها في الجملة العربية على المعنى والتركيب النحوي، كما يتجلّى في السور المسبّحات؟

تساؤلاتُ الدراسة:

تأسيسًا على السؤال السابق، يمكن صياغة سؤال الدراسة الرئيس على النحو الآتي:

- ما تحوّلات العلاقة الإسنادية في الجملة العربية؟

ويتفرّع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

- ما مفهوم العلاقة الإسنادية في النحو العربي؟
- ما الأنماط المختلفة للعلاقات الإسنادية في الجملة العربية؟
- ما المقصود بتحوّل العلاقة الإسنادية، وما أبرز صورها؟
- كيف تؤثّر مكمّلات الإســـناد (المفاعيل، الحال، التمييز) في بنية الجملة ودلالتها؟
- ما مدى انعكاس هذه التحوّلات في الســـياق القرآني، ولا ســـيّما في الســـور المسبّحات؟
- كيف تسهم الظواهر النحوية في القرآن في دعم الإسناد وتوظيفه دلاليًا؟

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث إلى تقديم فهمٍ أعمق للعلاقات الإسنادية في النصوص القرآنية، واستكشاف كيفية استخدام هذه العلاقات لتحقيق أهدافٍ دلالية، والإسهام في إثراء الدراسات اللغوية والقرآنية من خلال تقديم رؤى جديدة تساعد الباحثين في هذا المجال.

وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات البحث وتحقيق نتائج تعود بالفائدة على المهتمين، ومن أبرز أهدافها:

1. توضيح مفهوم العلاقة الإسنادية وتحوّلاتها في الجملة العربية.
2. تحليل أثر هذه التحوّلات في المعنى والدلالة والتركيب النحوي.
3. إبراز دور مكمّلات الإسناد في بناء الجملة.
4. إجراء دراسة تطبيقية للعلاقات الإسنادية في السور المسبّحات.
5. الإسهام في إثراء الدراسات النحوية والقرآنية بمنظور تحليلي جديد.

أهميّة الدّراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تعيد النظر في مفهوم الإسناد من زاوية التحوّل، لا من زاوية الثبات، ومن المتوقع أن يسهم في:

- تحقيق فهمٍ أعمق لبنية الجملة العربية، والعلاقات الإسنادية في السياق القرآني.
- إثراء المعرفة العلمية للباحثين والمهتمين بالعلوم اللغوية والقرآنية.
- فتح آفاق جديدة في الدراسات اللغوية والقرآنية، بما يسهم في رفع مستوى البحث العلمي، وتعزيز القدرات الأكاديمية البحثية.
- دعم مكانة كلية الآداب في جامعة الزاوية بين كليات العلوم الإنسانية، من خلال المساهمة اللغوية المقدّمة.

- إضـــافة قيمة علمية للمكتبة العربية اللغوية من خلال تقديم دراســـات تحليلية حديثة حول الإسناد والتحوّلات الإسنادية.

صعوبات الدراسة:

واجهت الباحث خلال إعداد هذه الدراســـة عددًا من الصـــعوبات والمعوّقات، وكان أبرزها ما يلي:

- كثافة المادة القرآنية موضوع الدراسة، إذ تناولت السور المسبّحات السّبع، بما تزخر به من تراكيب نحوية وأساليب إسنادية متعددة، مما تطلّب دقةً في التتبّع والتحليل، واستلزم ذلك مراجعةَ مصادر نحوية مختلفة.
- وقد ســـعى الباحث للتغلّب على ذلك من خلال الاعتماد على المصـــادر الأساسية الموثوقة، والمراجعة الدقيقة للمواد القرآنية، والتنسيق المستمر مع المشرف الكريم، لضمان إنجاز الدراسة بمستوى علمي مقبول ووفق الأمانة الأكاديمية، مع تقديم إضافة بحثية جديدة في الوقت نفسه.

هيكلية الدّراسة:

جاءت هذه الدراسة في تمهيدٍ وثلاثة فصول رئيسة؛ تناول الفصل الأوّل العلاقات الإسنادية في البنية الاسمية، من خلال مبحثين: الأوّل تناول مكوّنات الجملة الاسمية، والثاني درس أثر عناصر التحويل في الجملة الاسمية مثل النواسخ الفعلية والحرفية.

أمّا الفصل الثاني فقد خُصّص لدراسة العلاقات الإسنادية في الجملة الفعلية، واشتمل على مبحثين؛ الأوّل تناول مكوّنات الجملة الفعلية، والثاني عرض أثر التحوّلات التركيبية في البنية الفعلية مثل التقديم والتأخير والذكر والحذف.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: مكمّلات الإسناد في الجملة العربية، واشتمل على ثلاثة مباحث، هي: المفاعيل، والحال، والتمييز.

ويُمهّد هذا العرض البنائي للانتقال إلى التمهيد، الذي يتناول الأسس النظرية والمنهجية للدراسة، ويُبيّن الخلفية العلمية والدراسات السابقة، والمنهج المعتمد، وحدود الدراسة، وتعريف المصطلحات الأساسية.

التّمهيد:

تُعدّ العلاقات الإســـنادية من أهم العناصـــر التركيبية في اللغة العربية، حيث تقوم على الإسناد بين المسند والمسند إليه، وهو ما يشكّل أساس الجملة بنوعيها، وقد اهتم النحاة والبلاغيون بهذه العلاقة نظرًا لدورها في تحقيق تماســـك الجملة ودلالتها النحوية.

في الجملة الاسمية يُمثّل المبتدأ العنصر الرئيس الذي يُسند إليه الخبر، بينما في الجملة الفعلية يكون الفاعل أو نائب الفاعل هو الذي أســـند إليه الفعل، وتظهر العلاقة الإسنادية بوضوح في السور المسبّحات، حيث تتجلّى في تراكيب لغوية تحمل دلالات نحوية عميقة، وقد تناولت الدراسات اللغوية العلاقة الإسنادية من زوايا عدة، حيث ركّزت بعض المصادر على البنية النحوية للإسناد، بينما اهتمت أخرى بتحليل وظيفته في النصوص القرآنية.

ومن خلال هذا البحث تتبّع الباحث العلاقات الإسنادية في السور المسبّحات، محلّلًا طرائق توظيفها في بناء الجملة العربية، وما تُحدِثه من أثر في المعنى النحوي، وبطبيعة الموضـــوع اعتمد الباحث المنهج الوصـــفي التحليلي القائم على الجمع والوصف والتحليل، سعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة؛ إذ قام بوصف الظاهرة اللغوية وتحليلها للكشـــف عن أثر التحوّلات في المعنى والدلالة من خلال تحليل نحوي وصرفي ومعجمي ودلالي للآيات المختارة بما يُتيح فهمًا شاملًا للعلاقات الإسنادية.

واستنادًا إلى الدراسات السابقة، حاول الباحث تقديم نظرة شاملة لموضوع البحث، من خلال عرض أبرز نتائجها ومقارنة مناهجها في تحديد العلاقات الإسنادية وصلتها بمضمون هذه الدراسة.

ومن بين تلك الدراسات:

1. الدراسة الموسومة بـــ (المعنى الإسنادي في الجملة العربية، بين التأصيل والفنية) للباحث: مراد قفي، وهي رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في علوم اللســـان العربي، جامعة الحاج لخضـــر – باتنة، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، سنة 2006–2007م.

وقد تناولت رسالة المعنى الإسنادي في الجملة العربية من مستويين: مستوى الدلالة الأصلية التي تعبّر عن المعنى الأساسي للجملة، ومستوى الدلالة الفنية التي تتجلّى في التراكيب البلاغية والأســـاليب اللغوية. واعتمدت الدراســـة على المنهج الوصـفي، وتوصّـلت إلى أن المكوّن الدلالي يُعدّ عنصـرًا أسـاسًـا في تحليل المعاني الإســـنادية، ومفتاحًا لفهم الجملة العربية من منظور نحوي ودلالي. وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة في توسيع فهمه للعلاقات الإسنادية والدلالية داخل الجملة، مستفيدًا من منهجها الدقيق، وساعيًا إلى تطبيق الأساليب نفسها في بحثه بما يسهم في تقديم دراسة أكثر شمولًا ومرونة في فهم العلاقات الإسنادية في الجملة العربية.

2. دراســـة بعنوان (العلاقات الإســـنادية والتحوّلات في القراءات القرآنية)، للباحث علي محمد ســـالم، أطروحة مقدّمة لاســـتكمال متطلبات الحصـــول على درجة الدكتوراه في اللغة والنحو، جامعة مؤتة، كلية الآداب، سنة 2011م.

وقد تنـاولـت أطروحـة الـدكتوراه تحليـل الإســـنـاد النحوي وأثره في التغيّرات التركيبية في القراءات القرآنية، بالاســـتناد إلى تفســـير البحر المحيط لأبي حيان الأندلســـي، واعتمدت الدراســـة المنهج الوصـــفي التحليلي، وجاءت في مقدمة وأربعة فصول تناول فيها الباحث عددًا من الحالات الإعرابية في القراءات القرآنية، مبيّنًا أثر الإسـناد في توجيه التحوّلات النحوية داخل النصـوص القرآنية، ومن أبرز نتائجها أن التحوّلات الأسـلوبية يمكن أن تشـكّل نظرية لغوية متكاملة تُسـهم في تفسـير كثير من

الظواهر النحوية والإسـنادية في الجملة العربية، وتشـترك هذه الدراسـة مع دراسـة الباحث الحالية في تحليل العلاقات الإسـنادية بين الكلمات والجمل داخل النصـوص القرآنية، إذ أفاد الباحث من هيكليتها ومنهجها التطبيقي، مع بعض التعديلات لتناسب أهداف بحثه.

3. العلاقات الإسـنادية وتحوّلاتها في شـعر محمود درويش، للباحث عدنان حسـن الديّات، أطروحة مقدّمة اسـتكمالًا لمتطلبات درجة الدكتوراه في الدراسـات اللغوية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، 2013م.

تناولت الأطروحة تحليل العلاقات الإسـنادية بين المسـند والمسـند إليه في الشـعر العربي، وركّزت على التحوّلات الأسلوبية بين الجملة الإنشائية التي تُعبّر عن الانفعال والتأثّر، والجملة الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب، واعتمد الباحث المنهج الوصـفي التحليلي لدراسـة هذه التحوّلات، وتوصّـل إلى أن الجمل الخبرية في شـعر محمود درويش حافظت على الطبيعة الإسـنادية حيث توفّر فيها المسـند والمسـند إليه بشـكل واضـح، وتوافقت هذه الدراسـة والبحث الحالي في اعتماد المنهج الوصـفي التحليلي للعلاقات الإسـنادية، مما يوفّر رؤيةً عميقة لتفسـير التحوّلات التركيبية في النصوص الأدبية والقرآنية على حدّ سواء.

4. العلاقات الإسـنادية في النحو العربي، دراسـة تطبيقية عن النصـوص الأدبية، للباحث محمد بن عبد الله، رسـالة مقدّمة لاسـتكمال متطلبات الحصـول على درجة الماجستير في الأدب العربي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2020م.

تناولت الدراسـة تحليلًا لأنماط الإسـناد في النصـوص الأدبية، وتأثيرها على المعنى العام للجمل والنصـوص، واعتمد الباحث على المنهج الوصـفي والتطبيقي، وتوصّـل إلى تحديد الأنماط المختلفة للعلاقات الإسـنادية في النصـوص الأدبية، كما

قدّم توصيات لتعزيز فهم النصوص عبر التركيز على المسند والمسند إليه، وركّزت هذه الدراسة على النصوص الأدبية، بينما يتناول البحث الحالي العلاقات الإسنادية في النصوص القرآنية، مما يضفي بعدًا دينيًا على الموضوع، وقد استفاد الباحث من المنهج التطبيقي المستخدم لتقديم فهم أعمق لتحوّلات الإسناد داخل النصوص القرآنية.

5. السور المفتتحة بالتسبيح في القرآن، دراسة لغوية، للباحثة زهراء محمد كريم، رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الإجازة العالية (الماجستير)، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2021م.

تناولت الباحثة في الرسالة تحليلًا لغويًا شاملًا للسور المسبّحات، حيث درست عناصر الصوت، والصرف، والدلالة إلى جانب العلاقات الدلالية مثل المقابلة والتضاد والمشترك اللفظي، وتوصّلت الدراسة إلى أن التقديم والتأخير يُعدّ سلوكًا لغويًا طارئًا يحدث نتيجة تغيير ترتيب الأفكار في العقل، ويظهر في السور المسبّحات بما يتناسب مع المعنى العام للنص القرآني، كما أكدت الدراسة على وجود استخدام واسع للمجاز والاستعارة والكناية في هذه السور، ما يضفي عليها طابعًا بلاغيًا مميزًا.

وتكمن العلاقة بين هذه الدراسة والبحث الحالي في تركيز كليهما على التحليل النحوي للسور المسبّحات، إضافةً إلى استخدام المنهج نفسه في تحليل العلاقات النحوية والدلالية، ما يعزّز فهم الظواهر اللغوية التركيبية في النصوص القرآنية.

6. سمات العلاقة الإسنادية في النحو العربي، للباحث د. لحمامي رضوان، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، سنة النشر 2022م.

يُقدّم المقال دراسة معمّقة لسمات العلاقة الإسنادية في النحو العربي، حيث يعرض مفهوم الإسناد كركيزة أساسية في بناء الجملة العربية، ويبحث في التحوّلات التركيبية التي تطرأ على المسند والمسند إليه ضمن السياقات اللغوية المختلفة.

وعلى الرغم من تعدّد الدراسات التي تناولت العلاقات الإسنادية في الجملة العربية، فإن كثيرًا منها ركّز على جانب واحد من جوانب هذه العلاقات، دون معالجة التفاعل المتكامل بين عناصرها النحوية والدلالية.

وبعد مراجعة الأدبيات النحوية المختلفة خلص الباحث إلى أن هذه الدراسات، وإن اتّفقت على وجود تحوّلات إسنادية في بنية الجملة، فإنها اختلفت في تحديد مجالات البحث، مما أدّى إلى تنوّع المناهج، ورغم الجهود البحثية المبذولة لا تزال هناك فجوات علمية تستدعي مزيدًا من الاستكشاف، ولا سيّما فيما يتعلّق ببيان الأثر الناتج عن تحوّل العلاقات الإسنادية في الجملة العربية.

ومن هنا سعى الباحث إلى سد هذه الفجوة عبر تحليل العلاقات الإسنادية وتحوّلاتها، وأثر الإسناد على البناءين النحوي والدلالي، في السور المسبّحات، وهي من المواضع القرآنية التي تتجلّى فيها ظواهر الإسناد بوضوح، وعددها سبع سور افتُتحت بتسبيح الله تعالى، وهي: الإسراء (17)، الحديد (57)، الحشر (59)، الصف (61)، الجمعة (62)، التغابن (64)، الأعلى (87)، مرتّبة حسب ترتيب المصحف الشريف.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الأبعاد النحوية والدلالية للعلاقات الإسنادية في هذه السور، مركزًا على نماذج مختارة منها دون التوسّع في دراسة الإسناد خارج هذا النطاق، التزامًا بإطار البحث وموضوعه.

ويُعدّ تعريف المصطلحات خطوة جوهرية في أي بحث أكاديمي، حيث يسهم في توضيح المفاهيم الأساسية التي يعتمد عليها التحليل ويمنح القارئ تصوّرًا دقيقًا حول المصطلحات المستخدمة، ونظرًا إلى أن البحث الحالي يتناول «أثر تحوّل العلاقات الإسنادية ومكمّلاتها في السور المسبّحات»، فإن تحديد المصطلحات المرتبطة بهذا الموضوع يساعد على توحيد الفهم المنهجي، كما يُبرز كيفية استخدامها في السياق النحوي والدلالي، بما يضمن فهمًا متكاملًا للعلاقة بين التركيب والدلالة.

أوّلًا- الأثر:

الأثر لغة:

يُشير إلى العلامة أو ما يبقى من الشيء بعد زواله، ويُستخدم بمعنى التأثير الذي يتركه الفعل أو الحدث، مثل قولهم: خرجت في أثره، أي تبعته، وأثر السيف، أي ضربته. [1].

الأثر اصطلاحًا:

يتّخذ الأثر ثلاث دلالات رئيسة:

«النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلاقة، والثالث بمعنى الجزء». "[2].

أي الحاصل من الشيء بعد وقوعه، والعلامة التي تدلّ على حدوث فعل معيّن أو أثر ملموس، والخبر أو الرواية التي تُحكى عن الماضي وتؤرخ له.

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: 88/15، ينظر:: المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين: 5/1

(2) التعريفات، الجرجاني: 9/1.

وفي السياق اللغوي يُستخدم الأثر للإشارة إلى التغيّرات التي تطرأ على الكلمة نتيجة عوامل نحوية مؤثّرة، وهو ما سيتم تحليله وفق المنهج الوصفي لضمان فهم العلاقة المتكاملة بين التركيب والدلالة داخل النصوص القرآنية.

ثانيًا- التحوّل:

التحوّل لغةً:

يشير إلى «التنقّل من موضع إلى موضع آخر». [1] .

التحوّل اصطلاحًا:

يعني «الانتقال» [2] أو التغيير من حال إلى حال، وهو ما يُفسّر كيفية تغيّر العلاقات النحوية داخل الجملة نتيجة التغيّرات التركيبية.

ثالثًا- العلاقة:

العلاقة لغةً:

تُشير إلى الرّابط بين شيئين، وقد وردت بمعانٍ متعددة، مثل: "الهوى اللازم للقلب، والعلاقة بالكسر علاقة السيف والسّوط"[3] أي الارتباط.

رابعًا- الإسناد:

الإسناد لغةً:

يُشير إلى "ضم الشّيء إلى الشّيء "[4].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حول) : 189/11.

(2) التعريفات، الجرجاني: 93/1.

(3) تهذيب اللغة: 163/1.

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس: 3/ 105 .

الإسناد في الاصطلاح:

يعرف بأنّه " نسبة شيء إلى شيء آخر، بحيث تحصل به الفائدة"[1]، أي ضم تركيب إلى آخر لإتمام المعنى.

وهو الرّابط الذي يجعل الجملة ذات دلالة نحويّة ودلالية تامة، حيث يُحقق الاتّصال بين المسند والمسند إليه، ويمنح التّركيب اللغوى معنى مستقلًا يحسُن السكوت عليه.

وتطوّر مفهوم العلاقة الإسنادية في الدّراسات الحديثة، رغم أنّها لم ترد بمصطلح مستقل في الكتب النّحوية التّراثية، إلا أنّ مضمونها كان قائمًا ضمن مفهوم الإسناد العام، فقد تبنّت الدّراسات الحديثة مفهوم العلاقات الإسنادية لتوسيع التحليل التّركيبي والدلالي للجملة، حيث أصبحت تُعرف بأنها:

الرابط الذي يربط بين طرفي الجملة: المسند والمسند إليه، ويُؤكّد ابن يعيش أنّ الإسناد هو الرابط الجوهري بين الكلمات داخل الجملة، وهو العامل الأساس في تحقيق تمام المعنى[2].

بينما تناول تمام حسّان الإسناد من حيث وظيفته في بناء الجملة من منظور اللسان الوظيفي، وركّز على العلاقة التّركيبية بوصفها عنصرًا دلاليًا[3].

خامسًا– المكمّل:

المكمّل لغةً:

"كمل يكمل فهو كامل، وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته"[4].

---

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام: 46/1.

(2) ينظر: شرح المفصل: 72/1.

(3) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 16/1.

(4) تهذيب اللغة: 148/10.

أي ما يضـــاف إلى غيره ليكتمل، وهو اكتمال الشّـــيء وإتمامه تدريجيًا، وقد اســـتخدم القرآن الكريم هذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة: 3] ليُعبّر عن التّمام والكمال.

أما المكمّل اصطلاحًا:

فالمكمّلات "ألفاظ تُســتعمل بجوار الألفاظ الأســاســية في الجملة لتدل على معانٍ، تكميلية"[1].

أي ما يضـاف إلى غيره لإكمال صـفاته وخصـائصـه، وهو ما يُفسّـر دوره في التّركيب اللغوي النّحوي.

سادسًا- السور المسبحات:

السّورة لغةً:

مأخوذة من "البناء ما طال وحســـن وعرق من عروق الحائط والمنزلة من البناء، وواحدة سور القرآن والمنزلة الرفيعة والفضل والشرف"[2].

أي أنّها مأخوذة من سور المدينة، حيث شُبّهت به لإحاطتها بآياتها واجتماعها اجتماع البيوت بالسّـور، وقد تكون مأخوذة من التسـوّر: أي التصـاعد والارتفاع لعلوّ شأنّها[3].

السّورة اصطلاحًا:

"طائفة مســـتقلة من الآيات لها مطلع ومقطع"[4] أي بداية ونهاية محددة، وتُسمى سورة لكمالها وتمامها وشرفها.

---

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار: 3 / 1959.

(2) المعجم الوسيط : 462/1.

(3) ينظر:: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل: 56/1.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: 350/1.

التسبيح لغةً: "التنزيه، سبحان الله: معناه تنزيه لله من الصاحبة والولد، وقبل: تنزيه الله تعالى عن كل مالا ينبغي له أن يوصف به، وقيل: قوله سبحانك أي أنزهك يارب من كل سوء وأبرئك".[1]

المسبحات: هي سور قرآنية تبدأ بلفظ التسبيح مثل: سبّح ، سبحان، يسبّح وعددها سبع سور وهي:

الإسراء، الحديد، الحشر، الصف، التغابن، الأعلى

حيث ورد في حديثٍ أن النبي ﷺ كان لاينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: " فيهن آية خير من ألف آية " مما يدل على عظيم فضلها.[2]

وبناء على ما سبق، يُمثّل الأثر التّغيرات النّحوية التي تطرأ على الكلمة نتيجة عوامل مؤثّرة مثل الإعراب والبناء، بينما يعكس التحوّل الانتقال من حال إلى حال، ويُمثّل الإسناد الرّابط الأساس بين المسند والمسند إليه، ما يُحقّق الاتّساق التّركيبي والدّلالي، وتعدّ السّورة وحدة تركيبيّة مستقلة داخل النّص القرآني، ما يعزّز فهم طبيعة الإسناد وتحوّلاته داخل السّور المسبّحات، والعلاقة بين هذه المصطلحات تشكّل إطارًا متكاملًا لفهم تأثير التّغيرات النّحوية على التّركيب والدّلالة داخل النّصوص القرآنية.

وعلى الرغم من تعدد الدّراسات السّابقة في العلاقات الإسنادية، إلاّ أنّ كثيرًا منها اقتصـــر على جانب واحد دون معالجة التّفاعل المتكامل بين البنية النّحوية والدّلالية والصّرفية، وهذا ما سعى البحث الحالي إلى سدّه عبر دمج التّحليل النّحوي والصّرفي والدّلالي، بما يوفر رؤية شمولية لفهم طبيعة الإسناد وتحوّلاته في النّصوص القرآنية.

---

[1] لسان العرب، لابن منظور: 471/2

[2] مسند الامام أحمد: 85/4، حديث رقم (16982).

الفصل الأوّل
العلاقات الإسنادية في البنية الاسمية

توطئة

المبحث الأوّل– مكوّنات الجملة الاسمية

المبحث الثاني– أثر عناصر التّحويل على البنية الاسمية

توطئة:

تُعدّ العلاقات الإسـنادية محورًا أسـاسـيًا في تحليل التراكيب النّحوية، إذ إنّها تُحدد كيفية ارتباط الكلمات داخل الجملة وفقًا لقواعد اللغة العربية، مما يُسـهم في الربط بين طرفين أحدهما مُسند والآخر مسند إليه في إطار بنية تُؤسّس دلالتها على الإخبار أو الحكم.

وتُعدّ الجملة الاسـمية من أبرز المواطن التي تتجلّى فيها هذه العلاقة، نظرًا لطبيعتها القائمة على ثنائية المبتدأ والخبر وما بينهما من تلازم نحوي ومعنوي، فالجملة الاسـمية هي إحدى الرّكائز الجوهرية في النّحو العربي، حيث تقوم بدور محوري في بناء المعنى داخل اللغة، إذ تعكس طابع الثّبات والإسـتقرار، مقارنة بالجملة الفعلية التي تُعبّر عن الحركة والتّجدد.

ومن هنا تبرز أهميّة دراسـة الجملة الاسـميّة بوصـفها الإطار التّركيبي الذي تُبنى عليه كثير من الدّلالات النّحوية، حيث يُسـهم ترتيب المكوّنات داخلها في تحديد طبيعة الإسناد وعلاقته بالسّياق العام.

وتتنوّع صـور الجملة الاسـمية بتعدد الخبر وتغيّر موقعه، ما يفتح المجال لدراسة العلاقات الإسنادية التي تربط بين المبتدأ والخبر وفق قواعد النّحو العربي.

فإذا كانت الجملة الفعلية تحتاج إلى فعل لإحداث الحركة داخل التّركيب فإنّ الجملة الاسـمية تحقّق الإسـناد دون الحاجة إلى ذلك، مما يمنحها وضـوحًا وثباتًا في نقل المعنى.

ولفهم طبيعة هذه البنية اللُغوية، سـيسـتعرض هذا الفصـل: مكونات الجملة الاسـمية بدءًا من تعريفها العام، فيقف على أطراف الإسـناد، ثم يفصّـل القول في أنواعها، قبل أن يُعالج ظاهرة حذف أحد طرفي الإسناد؛ ويتناول الفصل أثر عناصر التّحويل على البنية الاسـمية، التي تُؤدّي دورًا في تنويع التراكيب النّحوية، ما يفتح

المجال لدراســـة مدى تأثير هذه التحوّلات في تحقيق المعنى داخل الخطاب العربي، ويهدف هذا الفصــل إلى تأصــيل الفهم النّظري والتّحليلي للبنية الاســمية بوصــفها أُنموذجًا إسناديًا يُوضّح آليات التّركيب، وديناميكيّة المعنى في اللغة العربية.

المبحث الأوّل
مكوّنات الجملة الاسمية

أوّلًا– مفهوم المبتدأ والخبر

ثانيًا– أنواع المبتدأ والخبر

ثالثًا– حذف المبتدأ والخبر

مكونات الجملة الاسمية:

ورد أنّ الجملة مأخوذة من الفعل (جمل) ، وتعني التجمع والضم، واشتقت من جملة الحبل، "والجملة واحدة الجُمل، وهي جماعة الشيء، وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة حيث يقال: أجملت له الحساب والكلام"[1].

وبالانتقال إلى التعريف الاصطلاحي، فقد توسّع النّحاة في مفهوم الجملة وفرّقوا بينها وبين الكلام بناءً على طبيعة التّركيب النّحوي، إذ رأى بعضهم أنّ الجملة "هي الكلام الذي يتركب من كلمتين أو أكثر و له معنى مفيد مستقل"[2]، فيما ذهب آخرون إلى أنّ الجملة هي القول المركّب حسُن السكوت عليه أم لا"[3].

الخلاف في تعريف الجملة عند النّحاة:

يُعدّ سيبويه (ت 180 هـ) أول من وضع نظرية متكاملة للجملة في كتابه (الكتاب)، حيث لم يستخدم مصطلح الجملة، بل تحدث عن المسند والمسند إليه، واعتبر أنّ الكلام هو:

ما تركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، ما يبرز أنّ الجملة عنده تقوم على الإسناد النّحوي بغض النظر عن تحقق الفائدة التامة[4].

أما المبرد (ت 285 هـ) فقد خالف سيبويه في عدة مسائل تتعلق بالجملة، بل ألّف كتابًا بعنوان (الرد على سيبويه)، ضم مئة وأربعًا وثلاثين مسألةً خلافيةً، منها ما يتعلّق بحدود الجملة والكلام.

---

(1) لسان العرب، مادة جمل: 128/11.

(2) التطبيق النّحوي، عبده الراجحي: 85/1.

(3) المنهاج المختصر في علمي النّحو والصرف، العنزي: 26/1.

(4) ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي: 173/1.

ويُعدّ المبرد من أوائل النّحاة الذين استعملوا مصطلح الجملة في كتاباتهم، وقد عرفها فقال: "هي ما يحسُن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب"[1].

أمّا ابن يعيش (ت 643هـ) فقد ميز بوضوح بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، واعتبر أنّ الجملة هي:

"كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه"[2].

أي أنّ الجملة ما تركّب من كلمتين وأفاد معنى يحسُن السكوت عليه، ما يُظهر ميله إلى اشتراط الفائدة التامة، وهو بذلك أقرب إلى رأي المبرد من رأي سيبويه.

وبعد عرض آراء النّحاة القدامى في تعريف الجملة، أجدني أميل إلى تعريف (ابن يعيش والمبرد) لما في هذا التعريف من وضوح في البنية التّركيبية، ودقة في الوظيفة الدلالية، حيث يشترط فيه تحقق الإسناد والمعنى التّام معًا.

ويتميز تعريف ابن يعيش بكونه يُزيل الإشكال الاصطلاحي بين مفهومي الجملة والكلام، ويُقدّم تصورًا متسقًا مع التّطبيق النّحوي العربي، ويُراعي في الوقت ذاته الاستعمال اللغوي.

كما أنّه لا يكتفي بعرض الرأي، بل يُفصّل القول ويحلّله، ويُبرز علل اختياره، ما يمكّن الباحث من بناء موقف نقدي رصين في ظل تعدد المصطلحات النّحوية.

---

(1) المقتضب: 8/1.

(2) شرح المفصّل: 72/1.

أوّلًا- مفهوم المبتدأ والخبر:

بعد أن تم بيان المفهومين اللغوي والاصـــطلاحي للجملة، يتوجّه هذا المبحث إلى تحليل مكوّنات الجملة الاسمية من منظور نحوي دلالي، وتُعدّ العلاقة بين المبتدأ والخبر أسـاس هذه البنية، إذ تتشـكّل الجملة الاسـمية من ركنين مترابطين إسـناديًا لا تستقيم البنية دون وجودهما أو تأويل محذوف منهما.

وقد عرّف الزمخشري (ت 538هـ) المبتدأ والخبر بأنّهما:

"الاسـمان المجرّدان للإسـناد"[1] نحو قولك زيد منطلق: أي الاسـمان المجردان عن العوامل اللفظية اللذان يُسند أحدهما إلى الآخر.

المبتدأ لغة مشـتق من (بدأ) أي شـرع في الشـي أوّلًا، ويُقال بدأت العمل أي شرعت فيه[2].

ويقول ابن منظور: "المبدي هو الذي أنشـأ الأشـياء وابتدعها ابتداءً من غير سـابق"[3] وبدأت الشـيء فعلته ابتداءً، أي أنّه أول الكلام وأسـاسـه، ويأتي في بداية الجملة لتحديد مسارها النّحوي.

أما المبتدأ اصطلاحًا فهو: "اسم يقع غالبًا في صدر الجملة، ويُسند إليه حكم نحوي"[4]، ويكون مرفوعًا دائمًا، لأنّه يشكّل الجزء الأساسي في تكوين الجملة وينقسم إلى نوعين:

- اسـم صـريح، مثل: محمد رسـول الله، واسـم مؤول مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 184].

(1) المفصل في صنعة الإعراب: 43/1.

(2) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: 171/1.

(3) لسان العرب: 26/1.

(4) المنهاج المختصر في علمي النّحو والصرف: 65/1.

وقد يتقدّم المبتدأ على خبره أو يتأخّر بحسب مقتضى السّياق أو لأغراض بلاغيّة ونحوية، والأصل أن يأتي المبتدأ معرفة، لكنه قد يأتي نكرة وفقًا للسّياق اللغوي، ويجب أن يتطابق المبتدأ والخبر في الإفراد والتثنية والجمع، وفي التّذكير والتّأنيث، لضمان الترابط النّحوي[1].

ويرى الباحث أنّ مصطلح "المسند إليه" أكثر اتساعًا من مصطلح المبتدأ إذ لا ينحصر في البنية الاسمية، بل يمتد ليشمل كل ما يُسند إليه الحكم في الجمل بأنواعها، كالفاعل في الجملة الفعلية مثلًا.

أمّا المبتدأ وهو مصطلح نحوي تقليدي يرتبط بالبنية الاسمية خاصة، ويتحدد موقعه غالبًا في صدر الجملة، ومن ثم يختار الباحث استخدام (المسند إليه) عند تحليل العلاقات الإسنادية من منظور دلالي عام، في حين يلتزم باستخدام المبتدأ في المواضع التي تتطلّب تأويلًا نحويًا تقليديًا.

الخلاف في العامل الرافع للمبتدأ والخبر:

اختلف النّحاة في تحديد العامل الذي يتسبب في رفع ركني الجملة الاسمية، وقد انقسمت آراؤهم إلى اتجاهين بارزين:

ذهب البصريون إلى أنّ العامل في رفع المبتدأ هو الابتداء، أي أنّ العامل فيه معنوي لا لفظي، أما الخبر فمرفوع بالمبتدأ نفسه، فالمبتدأ عندهم هو السّبب النّحوي في رفع الخبر لأنّه ينشئ العلاقة الإسنادية معه.

أما الكوفيون، فقد خالفوا هذا الرأي، وذهبوا إلى أنّ كلًا من المبتدأ والخبر يترافعان، أي أنّ كلًا منهما سبب في رفع الآخر، وعلّلو ذلك بأنّ المعنى لا يتم إلا بهما معًا، فكل منهما يحتاج إلى الآخر لتحقيق الإسناد[2].

---

(1) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 65/1.

(2) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات ابن الأنباري: 1/ 39.

ويميل الباحث إلى الرأي الذي يرى أنّ العلاقة بين المبتدأ والخبر علاقة تفاعلية، لا يفهم أحدهما دون الآخر، وهو ما يتّفق مع ما ذهب إليه الكوفيون.

وبعد عرض الخلاف بين البصريين والكوفيين حول العامل الرافع للمبتدأ والخبر، ننتقل إلى أقوال أئمة النّحو لتوضيح التصوّر النظري لديهم حول مفهوم المبتدأ.

فقد عرّف (سيبويه)، المبتدأ بأنّه:

"كل اسم ابتدىء ليُبنى عليه كلام. والمبتدأ والمبني عليه رفع"[1] مما يوضّح أنّ المبتدأ عنصر محوري في بناء العلاقة الإسنادية بين أطراف الجملة.

أمّا ابن جني (ت 392هـ) فقد قال: "اعلم أنّ المبتدأ كل اسم ابتدأته وعرّيته من العوامل اللفظية وعرضته لها..." [2]، أي أنّ المتبدأ هو الاسم الذي يُبدأ به الكلام، ويعرب بعيدًا عن العوامل اللفظية المؤثّرة، وهو بذلك يؤكّد استقلال المبتدأ عن أدوات النّحو الظّاهرة، ويعربه بناءً على موقعه وعلاقته بالخبر في التّركيب اللغوي، لا استجابة لعامل لفظي بعينه.

ويمكن القول إنّ كلا العالمين يتّفقان على أنّ المبتدأ هو الاسم الذي يُفتتح به الكلام ويُبنى عليه المعنى، وهو ما يجعله ركنًا أساسيًا في الإسناد النّحوي، كما يُؤكّدان أنّ رفع المبتدأ يتم بالابتداء لا بفعل ظاهر، أي أنّ العامل معنوي.

لكنّ ابن جني تحديدًا يتجاوز هذا المفهوم التّقليدي ليُشير إلى أنّ المبتدأ يُعرب بمعزل عن أي أثر نحوي لفظي، فيراه كيانًا مستقلًا داخل الجملة، ثم تأتي العوامل اللاحقة لتتحاور معه.

---

(1) الكتاب: 126/2.

(2) اللمع في العربية: ص25.

وهذه النّظرة تُعتبر خطوة مبكّرة تجاه ما ستعرفه الدّراسات اللسانية الحديثة من تركيز على العلاقات البنائية بدلًا من العوامل النّحوية الصّرفة.

ويميل الباحث إلى تبنّي الرؤية التي طرحها ابن جني، والتي ترى أنّ المبتدأ عنصر مستقل داخل الجملة لا يحتاج إلى مُؤثّر نحوي خارجي لرفعه، بل يُعرب بناءً على كونه مبتدأ فقط، دون خضـــوع لعامل لفظي ظاهر، وتتماهى هذه الرؤية مع التّوجهات اللســـانية الحديثة التي وسّـــعت مفهوم الإســـناد، فلم تحصـــره في البنية الإعرابية، بل نظرت إليه بوصفه علاقة دلالية وتركيبية بين طرفين: (المسند والمسند إليه) وقد أكّد ابن جني أنّ الإســناد هو الرّابط الأســاس في الجملة الاســمية، إذ إنّ المبتدأ هو المسند إليه، والخبر هو المسند، وهما معًا ينتجان المعنى التّام.

وعليه لا يتحقّق دور المبتدأ إلّا بارتباطه بالخبر، الذي يُســند إليه المضــمون اللغوي، فيكونان معًا وحدة معنوية واحدة داخل النّص اللغوي.

الخبر:

إذا كان المبتدأ يُمثّل الركن الأول في البنية الإســنادية للجملة الاســمية، فإنّ الخبر يشـــكّل الرّكن الثاني الذي يحمل المعنى ويكمل به التّركيب، وتتجلّى أهميّة الخبر في كونه الجزء الحامل للمضمون الدّلالي، الذي يقع به الحكم داخل الجملة.

الخبر لغةً:

هو "ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر"[1]، ويَشتق الخبر من الفعل أخبر ويراد به الإنباء أو النّقل أو الايضاح.

(1) لسان العرب، مادة (خبر) : 227/4.

أما في الاصطلاح:

فالخبر هو الجزء الذي يُتمّم الفائدة للمبتدأ[1]، وهو "الرّكن الأساسي الآخر الذي يكمل الجملة مع المبتدأ ويتمّم معناها"[2].

ويقول المبرد في ذلك:

"اعلم أنّ هذا الباب عبرة لكل كلام وهو خبر، والخبر ما جاز على قائله التصديق والتّكذيب"[3].

أي أنّ الخبر هو ما يجوز تصديقه أو تكذيبه، مما يجعل معناه قابلًا للحكم والبيان.

ويُضيف ابن جني أنّ الخبر "كل ما أُسندته إلى المبتدأ وحدثت به عنه"،[4] وهو ما يؤكّد جوهر الإسناد بوصفه علاقة معنوية بين طرفين.

ويرى الباحث أنّ هذه التّعريفات على تنوّعها، تتّفق في إبراز الوظيفة الجوهرية للخبر بوصفه حاملًا للمضمون الدلالي في الجملة الاسمية، لا مجرد عنصر نحوي تابع.

فالمعنى لا يكتمل إلّا به، وهو الذي يُسند الحكم، سواء أكان وصفًا ثابتًا أم جملة دالة على فعل أو حال.

ومن هنا فإن الخبر يُعدّ محور الإسناد ومركز الثّقل الدّلالي في التّركيب الاسمي.

---

(1) المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 66/1.

(2) التطبيق النّحوي: 98/1.

(3) المقتضب: 89/3.

(4) اللمع في العربية: ص26.

ثانيًا- أنواع المبتدأ والخبر:

اهتمّ النّحاة بتقسيم المبتدأ إلى أنواع متعددة بناءً على صفته النّحوية وموقعه في الجملة، كما صنّفوا الخبر إلى فئات مختلفة بحسب وظيفته الإسنادية في الجملة الاسمية، ومدى ارتباطه بالسّياق الدلالي.

أنواع المبتدأ:

يُعرّف النّحاة المبتدأ بأنّه، الاسم المرفوع الذي يُسند إليه الخبر ليتم المعنى، وقد تنوّعت تصنيفاتهم له في كتب النّحو، ومن أبرز التّصنيفات:

1. المبتدأ المعرفة:

وهو المبتدأ القياسي الذي يأتي اسمًا صريحًا ظاهرًا معرّفًا، لا يحتاج إلى قرينة توضيحية، مثل قولنا: العدلُ أساسُ الملك[1].

فهذا النوّع هو الأكثر شيوعًا في الجملة الاسمية، لأنّه واضح الإسناد، قوي الدّلالة، راسخ.

2. المبتدأ المؤوّل:

هو ما يتكوّن من مصدر مؤول من (أن والفعل المضارع)، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : 184].

فـ "أن تصوموا" مبتدأ مؤول بمعنى (صومكم) [2].

المبتدأ الضمير:

كقولنا: هو الحقُ، فالضمير (هو) في محل رفع مبتدأ[3].

---

(1) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: 43/1.

(2) ينظر: شرح كتاب الحدود في النّحو، النّحوي المكي: 65/1.

(3) ينظر: معاني النّحو، السامرائي: 149/1.

3. المبتدأ النكرة المقيدة:

إذا وردت النكرة في بداية الجملة لكنها دلّت على شـــيء معلوم من خلال السّياق أو القيد اللفظي، صحّ الابتداء بها[1]، مثل: طالب (مجتهد) يجلس في القاعة، فقد قُيّدت بالوصف (مجتهد)، فجعل المعنى مكتملًا، وجاز جعله مبتدأ.

4. المبتدأ المسبوق بواو المعية أو ظرف أو جار ومجرور[2]:

مثل: في الجامعة طلاب مجتهدون، فـــــــ (طلاب) مبتدأ مؤخّر، والأصل: طلاب مجتهدون في الجامعة، تحت رأسي سرج، والأصل: سرج تحت راسي.

يتبيّن من خلال ما سبق أنّ المبتدأ في الجملة الاسمية، لا يقتصر على الاسم الصّريح المعرّف فقط، بل تتنوّع صوره في كتب النّحو بحسب بنيته النّحوية وموضعه ودلالة السّـياق، وقد يكون تارةً اسـمًا ظاهرًا، وتارة ضـميرًا، أو اسـم إشـارة، أو اسـمًا موصولاً، أو مصدرًا مؤوّلًا.

ويعكس تنوّع صـــور المبتدأ في اللغة العربية عُمق الرؤية النّحوية في تحليل الأسـاليب، وبناء التراكيب، ويُبرز مرونة الجملة الاسـمية وقدرتها على التشـكّل وفق مقتضيات المعنى والسّياق.

ويرى الباحث أنّ هذا التنوّع لا يُعدّ مجرّد تنويع شكلي، بل يدلّ على أنّ المبتدأ ليس عنصرًا نحويًا جامدًا، وإنّما عنصر تعبيري يتكيّف مع السّياق والدّلالة، ما يمنحه وظيفة تتجاوز حدود التّعريف التّقليدي للجملة الاســمية، ومن هذا التنوّع في صــور المبتدأ ننتقل إلى الركن الثاني في البنية الاســمية (الخبر) لدراســة أنواعه المختلفة ووظائفه الإسنادية المتعددة.

---

(1) ينظر: التطبيق النّحوي: 1/ 88.

(2) ينظر: المصدر السابق: 89/1.

أنواع الخبر:

بعد بيان تعدد صـــور المبتدأ في التراكيب الاســـمية، من حيث بنيته وموقعه الإعرابي، يصبح من الطّبيعي أن يُستكمل بناء الجملة الاسمية، باستعراض العنصر الثاني فيها وهو الخبر، إذ يعد الطّرف الذي يكمل به المعنى ويتم به البناء النّحوي والدّلالي للجملة، وقد أولى النّحاة اهتمامًا كبيرًا بتقســيم الخبر إلى أنواع متعددة ترتكز على صوره التّركيبية ودوره الإسنادي داخل الجملة.

ولعل هذا التّقسيم يُعدّ ذا أهمية خاصـة في تفسير الأسـاليب القرآنية والأدبية، وضبط مواقع التّقديم والتأخير والحذف في السّياق العربي.

وينقسم الخبر كما ورد في كُتب النّحو المعتمدة إلى الأنواع الآتية:

1. الخبر المفرد:

وهو الخبر الذي ليس جملة ولا شـبه جملة، بل كلمة واحدة تسـند إلى المبتدأ وتتم بها الفائدة، وغالبًا ما يكون اســمًا مشــتقًا أو جامدًا مرفوعًا، مطابقًا للمبتدأ في التّذكير والتّأنيث والعدد[1]، مثل: العلم نور، الرجال حاضرون.

2. الخبر الجملة:

وهـو مـا جـاء فـي صـورة جملـة تُسـند إلـى المبتـدأ، وتكـون إمـا اسـمية أو فعليـة، ويشـترط أن تشـتمل الجملـة علـى رابـط بالمبتـدأ، غالبًـا مـا يكـون ضـميرًا يعود إليه[2]، وهي نوعان:

(1) ينظر: معاني النّحو: 188/1.

(2) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: 44/1.

أ. الجملة الاسمية، مثل:

السماء غيومها كثيفة، فجملة (غيومها كثيفة) جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ (السماء).

ب. الجملة الفعلية، مثل[1]**:**

المسلُم يزور مكة، فجملة (يزور مكة) جملة فعلية في محل رفع خبر المبتدأ (المسلم).

3. الخبر شبه الجملة:

وهو ما يتكوّن من جار ومجرور، مثل:

الكتابُ على الطاولة، أو ظرف مكان أو زمان مثل الضيفُ عند الباب، ويُشترط أن يُفهم منه الإسناد، حتى لو لم يكن تركيبًا فعليًا أو اسميًا[2].

4. الفاعل الذي يسد مسد الخبر:

يُعدّ هذا النوع من أنواع الخبر في الجملة الاسمية، ويُقصد به أن يكون المبتدأ وصفًا مشتقًا (غالبًا اسم فاعل)، يرفع فاعلًا فيُغني بذلك عن وجود خبر صريح.

ويقع هذا الأسلوب حيث يُقدّم الوصف، ويعتمد على نفي أو استفهام أو موصوف، فيعمل عمل فعله، ويتم المعنى بالإسناد إلى فاعله. مثل: أقائم زيد، قائم: اسم فاعل سد مسد خبر مُقدّم. زيد: مبتدأ مؤخّر، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم : 46].

راغب اسم فاعل سدّ مسد الخبر[3].

ويتّضح من هذا التصنيف أنّ الخبر لا يقتصر على كونه مفردًا جامدًا، بل يتنوّع بناءً على السّياق إلى جملة اسمية، أو جملة فعلية، أو شبه جملة، ولكل نوع

---

(1) ينظر: شرح كتاب الحدود في النّحو: 199/1.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: 202/1.

(3) ينظر: النّحو الواضح، علي الجارم: 2/ 117.

من هذه الأنواع أثره الخاص في المعنى والتّركيب، ويزداد هذا الأثر وضـــوحًا عند تحليل النّماذج القرآنية الواردة في السّور المسبّحات.

وقد يُقدّم الخبر أو يُؤخّر، وقد يُحذف في بعض السّـــياقات، هذه الأنواع تُمثّل الأركان الكبرى لبنية الخبر في الجملة الاســمية العربية، مع الإشــارة إلى أنّ البحث يُركّز على المبتدأ والخبر ضــمن عناصــر التّحويل مثل النّواســخ الفعلية والنّواســخ الحرفية، دون التوسّـــع في حذف المبتدأ أو الخبر، حفاظًا على وحدة الموضـــوع وتماسكه المنهجي.

ثالثًا- حذف المبتدأ والخبر.

يُعدّ الحذف من أبرز الظواهر الأســلوبية في اللغة العربية، إذ يُمثّل وســيلة بلاغية للتكثيف والإيجاز، مع الحفاظ على دلالة الجملة وسلامة معناها.

ويظهر هذا الحذف جليًا في الجملة الاســمية، حيث يُحذف أحيانًا أحد ركنيها الأساسيين (المبتدأ أو الخبر)، لاعتبارات بلاغية أو نحوية، وتحكمه قرائن تضمن ألا يُخلّ الحذف بالمعنى.

وقد اهتم النّحويون بهذه الظّاهرة، فوضــعوا ضــوابطها، وبيّنوا مواضــع جوازها ولزومها، ونبّهوا إلى أثرها في تحقيق الانسجام التّركيبي والدّلالة المتكاملة للجملة.

وســـيتناول هذا المطلب تحليل ظاهرة الحذف في البنية الاســـمية، مبتدئًا بتعريف الحذف، ثم بيان أنواعه من حيث تعلّقه بالمبتدأ والخبر مع الاســـتشـــهاد بالأمثلة.

1. تعريف الحذف:

الحذف لغةً هو الإسقاط والقطع[1].

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (حذف) .

واصطلاحًا هو "إسقاط بعض الكلام أو كلّه لدليل"[1].

أي إسقاط لفظ من التّركيب يدلّ عليه دليل في السّياق أو المقام.

ويقول الجرجاني (ت 471هـ) في وصف الحذف:

"هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فأنك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة" [2].

2. حذف المبتدأ:

يحذف المبتدأ في اللغة العربية إما وجوبًا أو جوازًا، وذلك وفقًا للسّياق التّركيبي والبلاغي، ويساق هذا الحذف لأغراض نحويّة أو بلاغيّة قاهرة، منها: تخصيص السّياق، وتكثيف التّركيب، ومراعاة أساليب المدح والذّم والقسم، والاقتصار التعبيري.

أوّلًا- حذف المبتدأ وجوبًا:

يقع الحذف وجوبًا في المواضع الآتية:

1. في أسلوب المدح والذّم، مثل قولهم: نعم الرجل محمد، والتّقدير: نعم الرجل هو محمد، حيث يُحذف المبتدأ وجوبًا لإبراز الخبر وتكثيف التّركيب، ويجوز في مخصوص نعم وبئس إعرابان:
   - خبر لمبتدأ محذوف وجوبًا أو أن يعرب مبتدأ والجملة خبر له[3].
2. مع النعت المقطوع، كما في قولهم: الحمد لله الحميد، ويرفع النعت بهدف المدح، ويحذف المبتدأ وجوبًا[4].

---

(1) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب: 160/1.

(2) دلائل الاعجاز: ص 163.

(3) ينظر: النّحو الواضح: 98/2.

(4) ينظر: شرح ابن الناظم ما ابن مالك: 86/1.

3. إذا كان الخبر مصـــدرًا يُؤدي معنى فعله، كما في قولهم (ســـمع وطاعة)، وقوله تعالى ﴿ فصـبرٌ جميلٌ ﴾ (يوسـف: 18)، والتقدير: صـبري صـبر جميل، حيث يُحذف المبتدأ وجوبًا لأنّ المصدر يُغني عنه[1].

4. في أســـلوب القســـم إذا دلّ الخبر على معنى القســـم، كما في قولهم: في ذمتي لأفعلنّ، والتقدير في ذمتي (ميثاق أو عهد) لأفعلنّ كذا.

ويُحذف المبتدأ وجوبًا لأنّ القسم يُغني عنه[2].

ثانيًا- حذف المبتدأ جوازًا

يقع حذف المبتدأ جوازًا في مواضع يُفهم فيها من السّياق دون لبس، منها:

1. في جواب الاستفهام كما في قولهم:

كيف زيد ؟ ، من بالباب ؟ والجواب زيدُ، والتقدير (هو زيدُ)، ويُحذف المبتدأ جوازًا لأنّ السّياق يدلّ عليه[3].

2. بعد فاء الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿ومن أســـاء فعليها ﴾ [فصـــلت: 45]. والتّقدير، من عمل صـالحًا فعمله لنفسـه ومن أسـاء فإسـاءته عليها، ويُحذف المبتدأ جوازًا لأنّ الخبر يدلّ عليه ضمنيًا[4].

ويُساق الحذف لأغراضٍ بلاغيةٍ منها: الاقتصار، والإيجاز، والإجابة السّريعة، والاستغناء عن التّصريح بما هو مفهوم ضمنًا.

ويرى الباحث أنّ حذف المبتدأ يُعبّر عن مظهر من مظاهر الإيجاز العربي المدروس، ويكشف قدرة المتكلم على التخفيف دون الإخلال بالمعنى.

---

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك: 214/1.

(2) ينظر: النّحو الوافي، عباس حسن: 507/1.

(3) ينظر: النّحو الواضح: 99/2.

(4) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 214/1.

وهو في جوهره دليل على ذكاء تداولي ، إذ يُعوّل فيه على وعي السـامع، بما يُفهم من السّياق أكثر من التصريح به.

ويُظهر هذا الحذف قدرة اللغة العربية على تحقيق المعنى الكامل بأقل عدد من الألفاظ، ما يعكس مرونة تركيبها وبلاغتها العالية.

3. حذف الخبر:

يُعد الخبر متممًا أساسيًا للمعنى في الجملة الاسمية، إلّا أنّه يُحذف كثيرًا، إما لتوفّر دليل عليه، أو لحكمة بلاغية، ويعدّ حذف الخبر أكثر شيوعًا من حذف المبتدأ، إذ يعتمد على وعي السـامع واسـتعداده الذهني لتقدير المعنى المحذوف، بناءً على السّياق أو المقام.

أوّلًا – حذف الخبر وجوبًا:

يُحذف الخبر وجوبًا في مواضع محددة، منها:

- إذا وقع بعد (لولا) [1]، كما في قولهم: لولا الماء لعطشـنا، والتقدير (لولا الماء موجود).
- إذا كان المبتدأ نصًّا صريحًا في القسم، مثل: لعمرك لأفعلنّ، والتّقدير لعمرك قسمي لأفعلنّ[2].
- إذا عُطف على المبتدأ بواو المعيّة[3]، كما في القول: كل طالب وكتابه، والتقدير: كل طالب وكتابه مقترنان. أي مع كتابه.
- إذا جاء بعد المبتدأ حال سدّ مسد الخبر، مثل:

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 217/1.

(2) ينظر: المصدر السابق: 1/ 221.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 70/1.

ضـربي زيدًا قائمًا، احترامى المعلم مثقفًا، وأخطب ما يكون الأمير قائمًا. أي: حاصل قائمًا[1].

ثانيًا – حذف الخبر جوازًا:

يُحذف الخبر جوازًا إذا دلّ عليه السّـياق، وكان في الجملة ما يُغني عن ذكره، ويُعدّ هذا النّوع من الحذف أكثر مرونـةً، ويســـتخدم لأغراض بلاغيـة ومن أبرز مواضعه: [2]

- في جواب الاســـتفهام، مثل: من المجتهد؟ الجواب: محمدُ، والتقدير (محمد مجتهد)، (محمد) مبتدأ والخبر محذوف جوازًا لدلالة السؤال عليه.
- بعد (إذا) الفجائية، مثل: خرجت فإذا صـديقي، والتقدير: فإذا صـديقي موجود أو حاضر، فـ(صديقي) مبتدأ، والخبر محذوف جوازًا لدلالة المقام عليه[3].
- إذا دلّ عليه دليل مقالي أو ســـياقي، مثل: وجهها جميل وصـــوتها، والتقدير: وصوتها جميل، فـــ (صوتُها) مبتدأ، والخبر محذوف جوازًا لدلالة الجملة السابقة عليه[4].

وفي جميع هذه المواضـــع يجوز ذكر الخبر أو حذفه، بحســـب ما يقتضـــيه السّياق البلاغي.

ويتبيّن من العرض أنّ حذف الخبر في الجملة الاســـمية يخضـــع لضـــوابط نحوية دقيقة، فالحذف جائز إذا دلّ عليه السّـياق، وواجب إذا اقتضـــى التّركيب ذلك، كما في المواضـــع التي لا يُحتمل فيها ذكر الخبر صـراحةً، ويُعدّ حذف الخبر مظهرًا

---

(1) ينظر: أوضـح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 221/1، ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 70/1.

(2) ينظر: شرح ابن الناظم: 87/1.

(3) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 219/1 – 220.

(4) ينظر: التطبيق النّحوي: 107/1.

واضـــحًا لبلاغة الحذف في العربية حيث يكون المعنى أوضـــح بغيابه، والخبر المحذوف في مثل هذه المواضع لا يُسكت عنه عجزًا، بل ثقةً بفهم المخاطب.

الحذف بين الدّلالة والتأويل:

يرى الباحث أنّ حذف الخبر لا يُقصـــد به الإخفاء والتعمية، بل يُعدّ صـــورة راقية من بلاغة التّلميح التي تُغني عن التّصـــريح، حيث يُبنى المعنى على ما يدركه المخاطب من السّياق دون حاجة إلى الإفصاح المباشر.

وبهذا يتّســع مدلول الجملة ويتجاوز ظاهر النّص إلى عُمق المقصــود، فتغدو اللغة شريكًا في التأويل لا مجرّد أداة للتقرير.

ومن خلال هذا التّصـــور، يتّضـــح أنّ ظاهرة الحذف تُعدّ من الخصـــائص الأســـلوبية الكُبرى في العربية، لما تنطوي عليه من اقتصـــاد في التعبير، وكثافة في الدّلالة، وذكاء بلاغي واعٍ.

فالحذف لا يعني مُجرّد اسقاط عنصر من عناصر الجملة، بل هو فعل لُغوي مقصود ومنضبط، تحكمه قرائن دلالية وسياقية، ويؤدي وظيفة تواصلية بالغة الدقة.

وقد أشـار (ابن جني) إلى هذا المعنى بقوله: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شـيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضـرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[1].

أي أنّ الحذف لا يكون إلّا إذا دلّ عليه دليل، وإلّا كان ضـــربًا من التكلّف والغموض، وهو ما يُؤكّد أنّ الحذف عند النّحاة ليس إجراءً شـــكليًا، بل هو عملية لغوية واعية، تُراعي السّـياق وتُحسـن توجيه المعنى، وتُظهر براعة المتكلم في توظيف أدوات اللغة لتحقيق الإيجاز والتلميح دون إخلال بالتّركيب أو المعنى.

---

(1) الخصائص: 362/2.

التحليل البلاغي لوظيفة الحذف في الجملة الاسمية:

في سياق الجملة الاسمية، يظهر الحذف كآلية لغوية تسهم في تنويع الإيقاع وتكثيف المعنى، من خلال إسقاط أحد الركنين (المبتدأ أو الخبر) دون أن يختلّ النظام التّركيبي أو تضعف الوظيفة البلاغية للجملة، إذ تتكفل القرائن اللفظية أو المقامية باستحضار العنصر المحذوف في ذهن المتلقي، ويرى البلاغيون ومنهم (عبد القاهر الجرجاني) أنّ الحذف لا يعد طرفًا زائدًا في التّركيب، بل هو مظهر من مظاهر البلاغة العُليا، إذ يعتمد على فطنة السامع في استكمال المعنى، ويُحرّك قدرته على ملء الفراغ التّركيبي بما يناسب المقام، وقد وصفه الجرجاني بأنّه: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر"[1].

من خلال العرض السابق يتّضح للباحث أنّ الحذف في الجملة الاسمية لا يُعدّ نقصًا في البنية، بل هو تحقيق لبلاغة رفيعة، وإيجاز مُحكم. وتُظهر كتب النّحو أنّ الحذف يخضع لمنظومة دقيقة من القواعد، بعضها يرتبط بالسّياق، والآخر يعتمد على القرائن، ولا يُقبل إلّا حين يُتيح المقام استيفاء المعنى بالتقدير الذهني السليم.

كما أنّ الحذف لا يحدث عبثًا، بل يُستثمر متى كان شرط الاكتمال المعنوي متوفرًا، فيتحوّل إلى أداة بلاغية متقنة.

ففي حذف المبتدأ، غالبًا ما يكون السّياق بيانيًّا واضحًا، كما في مواضع الجواب والمقام الظاهر.

أما حذف الخبر، فيبرز حين يكون الحكم ثابتًا أو الدّلالة كاشفة؛ وهو أكثر شيوعًا في أنماط الخطاب اليومي والسّياقات النمطيّة.

وهكذا، تعكس ظاهرة الحذف ملامح وروح اللغة العربية الأصيلة. التي اعتمدت على اقتصاد العبارة، وإثراء السّياق، ومنح المتلقي دورًا فاعلًا في بناء المعنى

---

(1) دلائل الإعجاز: 1/ 163.

واستحضاره، فالحذف في جوهره ليس فقدًا للعنصر، بل هو فعل تواصلي راقٍ، يُبرز جمال التلميح، ويعزّز التفاعل الحي بين النّص والمتلقي.

من خلال هذا المبحث يتّضح أنّ الجملة الاسمية في اللغة العربية تقوم على بنية دقيقة تضمن تماسك الإسناد بين المبتدأ والخبر سواء عند حضورهما أو عند تحقق الحذف، وقد أظهرت الدراسة أنّ تعريف المبتدأ والخبر وتحديد أنواعهما، بالإضافة إلى دراسة حالات حذف الركنين، يكشف عن مرونة النّحو العربي، وثراء أدواته التعبيرية، إذ لا يُضعِف الحذف دلالة الجملة، بل يمنحها أبعادًا بلاغية تتجاوز التّركيب التقليدي، ويُعدّ هذا الفهم أساسًا مهمًا للانتقال إلى المباحث التالية، التي تتناول العلاقات الإسنادية في الجملة الاسمية وتحلل أثر عناصر التحويل على بنيتها وفق مقتضيات السّياق.

المبحث الثاني
أثر عناصر التّحويل على الجملة الاسمية

أولًا- النّواسخ الفعلية

1- كان وأخواتها

2- كاد وأخواتها

3- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

ثانيًا- النّواسخ الحرفية وأثرها في البنية الاسمية

1- الحروف المشبهة بالفعل (العاملة عمل إنّ): إنّ وأخواتها.

2- الحروف المشـــبهة بليس (العاملة عمل ليس): ما الحجازية، لاالنافية للجنس، لات، إنّ في بعض الاستعمالات النادرة

3- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

توطئة:

تحتلّ الجملة الاسمية في النّحو العربي مكانة مركزية، إذ تمثّل الوعاء الأساس للتعبير عن المعاني الثّابتة والتّقديرية، وتُشـــكّل اللبنة الأولى في بناء الدّلالة داخل النّصـــوص العربية، غير أنّ هذه الجملة لا تبقى على حالتها الابتدائية دائمًا، بل تخضع لما يعرف في التحليل النّحوي بـــ (تحوّل العلاقات الإسنادية) وهو تغيير يطرأ على أســـلوب الإســـناد أو على وظيفة المبتدأ والخبر نتيجة دخول بعض الأدوات الناسخة التي تُعيد تشكيل بنيتها النّحوية والدلالية.

وتُعدّ النواســـخ – مثل كان وأخواتها، وإنّ وأخواتها–، من أهم العوامل المؤثرة في التحوّل الإســـنادي، إذ تحدث نقلة تركيبية ودلالية، فتحوّل الجملة من الإســـناد المجرّد إلى صـــياغة أكثر تخصـــيصًـــا للزمان، أو التوكيد، أو النفي، وغيرها من الوظائف البلاغية.

ولا تكمن أهمية دراسة هذه التحوّلات في تتبع آثارها الإعرابية فحسب، بل تمتد إلى فهم كيفية إعادة تشكيل المعنى داخل السّياق. وهو ما يجعل العلاقة بين الشكل النّحوي والدّلالة البلاغية أو العقدية وثيقة وعميقة، خاصـــة في النص القرآني الذي تتجلّى فيه أدوات التحليل بدقة عالية، فتُسهم في تحقيق المعنى المراد وفق مقتضيات البيان.

في هذا المبحث ســـيتم تحليل أثر النواســـخ الفعلية والحرفية في السّـــور المســبّحات، عبر دراســة نماذج قرآنية مختارة، مع التركيز على تأثيرها في العلاقات الإسـنادية، والوظائف الدلالية، والرسـائل العقدية والتوجيهية التي يسـعى القرآن الكريم إلى إيصالها. ويُمهّد لهذا الفهم تحديد مدلول (النّسخ) في اللغة والاصطلاح.

إذ يُطلق هذا المصـــطلح في اللغة، على الإزالة أو الإحلال محل الشـــيء، فيقال: "(نسخ) نسخت الشمس الظل وانتسخته: أي أزالته، ونسخت الريح آثار الدار:

أي غيّرتها ونسخت الكتاب وانتسخته، واستنسخته كله بمعنى، والنُسخة بالضم أي اسم المنتسخ منه"[1].

أما في الاصطلاح النّحوي فالنّسخ إزالة الحكم الإعرابي الأصلي للمبتدأ أو الخبر، وإحلال حكم جديد يفرضه العامل الناسخ وفق قواعد محددة[2].

وبذلك تُفهم عملية النسخ اللغوي على أنها نقل للجملة من حالة إسنادية إلى حالة جديدة تمليها الأداة الداخلة، سواءً أكانت فعلًا ناسخًا مثل كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، أم حرفًا ناسخًا مثل إنّ وأخواتها، فالناسخ إذًا لا يغيّر الشكل التّركيبي فحسب، بل يُعيد بناء الجملة وفق مقتضى الحال والدّلالة المطلوبة، إذ يُحرّك البنية الإسنادية من حالتها الابتدائية إلى صورة جديدة تستوعب مقاصد السّياق ومستلزمات البيان، ولا تقتصر وظيفة الناسخ على إحداث تغيير نحوي في العلاقات الإعرابية، بل تمتد لتشكيل بنية دلالية تعبّر عن الزمان أو الحال أو الرجاء، وغيرها من الأغراض البلاغية.

وتتجلّى أهمية هذا التحوّل في أنّ الجملة بعد دخول الناسخ تصبح أكثر اتساقًا مع المشهد الخطابي، وأكثر قدرة على احتضان المعاني الدقيقة التي تفرضها اللحظة السّياقية.

وبذلك تتحول عملية النّسخ النّحوي إلى أداة بلاغية فاعلة، تُسهم في تحقيق مقاصد النّص، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالرسالة والتوجيهية، خاصةً في سياق التعبير القرآني الذي يُوظّف النواسخ بحس بياني بالغ الدقة.

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية: 433/1.

(2) ينظر: التطبيق النّحوي: 113/1.

ومن أجل الوقوف على صيغة هذا التحوّل الإسنادي ، تأتي دراسة النواسخ الفعلية في الفقرات التالية بوصفها أحد أبرز أدوات التحويل التي تُعيد تشكيل الجملة الاسمية وتُضفي عليها طابعًا دلاليًا وزمنيًا يتفاعل مع السّياق الخطابي.

وسنعُنى في هذا التّمهيد بتحليل بنيتها وأنواعها ووظائفها تمهيدًا للانتقال لاحقًا إلى الجانب التطبيقي، حيث تُستجلى آثارها في النّصوص القرآنية، وتبرز قدرتها على بناء المعنى وتوجيه الرسالة ضمن نسق بياني بالغ الدّقة.

أولًا- النّواسخ الفعلية:

1- كان وأخواتها:

تُعدّ (كان وأخواتها) من أبرز الأفعال الناسخة في اللغة العربية، وهي أفعال تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، فتحدث بذلك تحولًا في معنى الجملة[1].

وقد أُطلق عليها في كتب النّحو مصطلح (الأفعال الناقصة)؛ لأنّها لا تكتفي بالمرفوع وحده لإفادة المعنى، بل تحتاج إلى مكمّل إسنادي يتمثّل في الخبر الذي يُكمل دلالتها[2].

وتُعدّ هذه الأفعال محورًا من محاور اهتمام علماء النّحو، نظرًا لدورها الحيوي في بنية الجملة العربية، حيث أطلقوا عليها اسم (الأفعال الناسخة) لكونها تنسخ حكم الجملة الاسمية دون أن تلغي مضمونها.

وتنقسم (كان وأخواتها) من حيث التصرّف إلى نوعين رئيسين:

---

(1) ينظر: النّحو المصفي، محمد عيد: 251/1.

(2) ينظر: معاني النّحو: 208/1.

أفعال متصـــرّفة، مثل: كان، أصـــبح، أمســـى، أضـــحى، ظلّ. وهي تقبل التصـريف بجميع الأزمنة، وأفعال جامدة، مثل: ليس، وهي لا تقبل التصـريف وتأتي بصورة واحدة.

ويرى ابن هشام (ت 761هـــ) أنّ كان وأخواتها، تعمل على الربط بين الزمن والحدث، وتعبّر عنه بدقة من الناحية الدلالية[1].

الخصائص التّركيبية والدلالية لـ (كان وأخواتها):

تتميز الأفعال الناســـخة بتنوّع دلالاتها وصـــيغها، فهي تؤدي دورًا نحويًا في تحويل الجملة الاســـمية إلى تركيب يحمل دلالة زمنية أو بلاغية، وتتفاوت هذه الأفعال بحسب السّياق في الوظيفة التي تقوم بها ويمكن تصنيفها وفقًا لدلالتها.

أفعال ذات دلالة زمنية، مثل:

- كان التي تفيد حصول الخبر في الزمن الماضي المطلق.
- أصبح التي تختص بحصول معنى الخير في زمن الصباح.
- أضحى التي تشير إلى وقت الضحى.
- ما دام التي تُعبّر عن الاستمرار الزمني.
- ما زال، ما برح، ما انفك، التي تعبّر عن الاستمرارية،
- ليس التي تفيد النفي في الحال.
- بات التي تدل على وقوع الحدث في الليل.

ويُلاحظ أنّ دخول هذه الأفعال على الجملة لا يقتصـــر أثره على الجانب النّحوي، بل يحمل أثرًا دلاليًا واضـحًا، كما في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ الإنسان عَجُولاً ﴾.

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 226/1.

[الإســـراء، من الآية: 11]، إذ أضـــفى الفعل (كان) بعدًا زمنيًا على الحكم، وأعاد تشكيل المعنى داخل إطار من الزمن[1].

ويرى بعض النّحاة أنّ (كان وأخواتها) لا تُعبّر عن حدث، بل تنحصر دلالتها في الزمن فقط؛ فإذا كان تعريف الفعل هو ما دلّ على حدث وزمن، والمصدر ما دلّ على الحدث دون زمن، فإنّ هذه الأفعال لغياب الحدث فيها تُصـنّف ضـمن الأفعال الناقصة التي تحتاج إلى مكمّل إسنادي يتمثّل في الخبر ليكمل معناها[2].

وتُفسّر هذه الرؤية اختلاف عملها عن الأفعال التامة، وتوضّح أثرها في البنية الإسنادية للجملة.

انطلاقًا مما سبق، فإنّ دخول (كان وأخواتها) على البنية الاسمية لا يُعدّ مجرّد تغيير إعرابي، بل يُمثل تحولًا جوهريًا في طبيعة الإسـناد من الثبات إلى إسـناد زمني أو بلاغي يضـــيف بعدًا وظيفيًا جديدًا إلى الخطاب، ســـواء من الناحية التّركيبية أو الدلالية.

وهذا ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [ســـورة هود، الآية: 118]، حيث يدلّ (ما زال) على استمرارية الحالة دون الإشارة إلى حدث جديد، وهو ما يُؤكّد الطابع الزمني والتقريري لهذه الأفعال، وبذلك تُسهم الأفعال الناسخة في نقل الجملة من الثبات إلى الحركة الزمنية، دون أن تحمل هي بذاتها معنى الحدث، الأمر الذي يُبرز روعة التّركيب العربي وعمق دلالته.

2- كاد وأخواتها:

تُعد (كاد وأخواتها) من الأفعال الناقصـــة الناســـخة التي تدخل على البنية الاسمية للدلالة على الحدوث أو المقاربة، وقد تناولها النّحاة بالتصنيف والتحليل نظرًا

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 227/1.

(2) ينظر: التطبيق النّحوي: 113/1.

لطبيعتها الخاصة في التعبير عن بدء الفعل أو قرب وقوعه، ما يُضفي على التّركيب النّحوي بعدًا زمنيًا ودلاليًا جديدًا[1].

وقسمها النّحاة إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

1. أفعال المقاربة.

مثل: كاد، أوشك، وتُفيد أنّ الحدث على وشك الوقوع، لكنّه لم يقع فعليًّا، مما يُعبّر عن حالة اقتراب الحدث دون تحققه، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء من الآية: 73].

في هذه الآية جاء الفعل (كادوا) ليُعبّر عن محاولة وشـــيكة للفتنة، لكنّها لم تتحقق فعليًا، ما يُبرز دلالة المقاربة بوضوح.

2. أفعال الرجاء:

وهي أفعال تدلّ على توقّع ورجاء حدوث الفعل مستقبلًا وهي (عسى، حرى، اخلولقَ).

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء من الآية : 8].

3. أفعال الشروع:

وتُفيد البدء في وقوع الحدث، ومنها:

شرع، طفق، أخذ، جعل، أنشأ، قام[2].

مثل، شرع القاضي يفصل في القضية، أي بدأ بالعمل في إصدار الأحكام.

الخصائص التّركيبية والدلالية لـ (كاد وأخواتها).

تعمل (كاد وأخواتها) عمل (كان) من الناحية النّحوية، فهي أفعال ناقصـــة ناسخة، تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، لكنّها تختلف عنها

(1) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك لشرح ألفيه ابن مالك، المالكي: 515/1.

(2) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: 372/4، بتصرّف.

من حيث نوع الخبر ودلالته تركيبيًا، ويشـــترط في خبر هذه الأفعال أن يكون جملة، ويختلف نوع هذه الجملة بحسب نوع الفعل.

ففي أفعال المقاربة يكون الخبر جملة فعلية مضــارعة صــريحة؛ ولا يقبل فيها الاسم المفرد، بخلاف (كان وأخواتها)[1].

أما أفعال الرجاء، فيكون خبرها مصـــدرًا مؤولًا من (أنْ والفعل)، ووظيفة هذه الأفعال تتدرّج ضمن السّياق الدلالي للتوقّع والرجاء، وقد يكون الرجاء مؤكّد الوقوع أو حتميًا[2].

وفي أفعال الشروع، يُشترط أن يكون الخبر جملة فعلية فعلها مضارع ظاهر، يُعبّر عن بداية الحدث فعلًا، ولا يستخدم المصـدر المؤول، ولا يقبل الجملة الاسـمية أو الاسم المفرد[3].

ويمكن القول أنّ جميع هذه الأفعال لا تتصرف تصريفًا زمنيًا واسعًا، وهي في الغالب أفعال جامدة، تسـتخدم بصـيغ محدودة تدلّ على الزمن الماضـي أو الإنشـاء الدلالي.

ودلاليًا، تتميز هذه الأفعال بدلالات إنشـــائية تضـــفي على التّركيب النّحوي معنى يتجاوز البنية الخبرية، وترتبط بوضـــع الحدث ضـــمن السّـــياق الزمني أو الشعوري.

- أفعال المقاربة تُفيد أنّ الحدث على وشك الوقوع لكنّه لم يتحقق بعد، فتضفي على الجملة دلالة الاحتمال والوشك[4].

---

(1) ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 449/1.

(2) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 114/1.

(3) ينظر: معاني النّحو: 268/1.

(4) ينظر: شرح المفصل: 372/4.

- أفعال الرجاء، تدلّ على توقّع حدوث الحدث مســـتقبلًا، بدافع الأمل أو التمني، وهي الأكثر إنشائية وتعبيرية في هذا الباب[1].
- أما أفعال الشــروع، فدلالتها ترتكز على البدء الفعلي للحدث، فهي تشــير إلى أنّ الفعل قد دخل حيّز التنفيذ، ما يجعل الجملة أكثر ارتباطًا بالفعل الحاصـــل لا المحتمل فقط[2].

وبناء على ذلك، فإنّ الخصـائص الدلالية لهذه الأفعال لا تقتصـر على تحديد الزمن، بل تُعبّر عن الموقف من الحدث نفســه ودرجة قربه أو الشـروع فيه، ما يُحوّل البنية الاسمية إلى بناء إنشائي مركّب يخدم السّياق البلاغي للنّص.

خلاصـــة القول، اتفق النّحاة على أهمية النواســـخ الفعلية في تكوين الجمل وتوضيح المعاني، نظرًا لقدرتها على تحويل البنية الإسنادية للجملة، وإضفاء دلالات زمنية وإنشائية تُثرى السّياق اللغوي، وتمنحه بُعدًا تعبيريًا متجددًا.

وبعد دراسة متأنّية لاختلافات العلماء في تصنيف هذه الأفعال وتحليلها، يميل الباحث إلى الرأي الذي يرى أنّ النواســـخ الفعلية تلعب دورًا حيويًا في بناء الجملة وتوضـيح المعاني، لا سـيّما في النّص القرآني، حيث اسـتخدمت لتحديد العلاقات بين الجمل وتوضيح المقاصد البلاغية والدلالية، ويستند هذا الرأي إلى أدلة لغوية ونحوية متعددة، منها ما ورد عن سـيبويه حين قال: "هذا باب الفعل الذي يتعدى اسـم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"[3].

---

(1) ينظر: التطبيق النّحوي: 140/1.

(2) ينظر: النّحو الوافي: 57/1.

(3) الكتاب: 45/1.

موضّحًا العلاقة الإسنادية بين أطراف الجملة الناسخة، كما أشار المبرد (ت 285هـ) إلى أنّ هذه الأفعال تسمى أفعال المقاربة، ومنها (عسى) وهي تُفيد مقاربة الفعل، ولا بد لها من فاعل وخبرها مصدر[1].

أما ابن يعيش (ت 643هـ) ، فقد بيّن أنّ (كان) تدلّ على ما أنت فيه، أو ما يأتي من الزمان، فلما نقصت دلالتها كانت ناقصة[2].

ومن خلال هذه الآراء، يتّضح أنّ النواسخ الفعلية لا تؤدي وظيفة نحوية فحسب، بل تُسهم في إعادة ترتيب عناصر الجملة بما يخدم المعنى المقصود، ويُبرز البعد الزمني والإنشائي في الخطاب العربي.

3- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

يعتمد هذا المبحث في تحليله للنصوص القرآنية المختارة على منهج لُغوي متدرّج، ينطلق من استيعاب المعنى العام للسياق، ثم يعالج الجملة من حيث بنيتها النّحوية وعلاقاتها الإسنادية، وصولًا إلى تحليل الكلمة من حيث دلالتها الوظيفية داخل النّص.

وقد تمّ التركيز على الأفعال الناسخة باعتبارها من عناصر التحويل التّركيبي والدلالي، وتتبعُ استخدامها في عدد من سور المسبحات ذات البنية الخطابية المحكمة وهي:

الإسراء ، والحديد، والحشر، والصّف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

وقد التزم الباحث في ذلك بمنهج تحليلي دلالي وظيفي، يُبرز دور هذه الأفعال في توجيه المعنى داخل الجملة الاسمية، وفي السّياق القرآني الكلّي، مع بيان موقع

---

(1) ينظر: المقتضب: 68/3.

(2) شرح المفصل: 336/4.

الفعل الناسخ واسمه وخبره دون التوغُّل في التفاصيل الإعرابية الدقيقة، وذلك إفساحًا لمجال إظهار الأثر الدلالي والزمني والبلاغي في التكوين الخطابي للنّص القرآني.

وانطلاقًا من هذا المنهج، تبدأ الدراسة التطبيقية بأولى نماذجها في سورة الإسراء، حيث وردت الجملة الاسمية المنسوخة في قوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

تظهر الجملة الاسمية المنسوخة (عبدًا شكورًا)، بوصفها نموذجًا دقيقًا لتحوّل البنية الاسمية عبر دخول الفعل الناسخ (كَان)، ما يضفي على التّركيب النّحوي دلالة زمنية ووظيفية تتجاوز الإخبار إلى التوجيه البلاغي.

حيث تبدأ الجملة بـ (إنّ) وهي حرف توكيد ونصب، تدخل على الجملة الاسمية لتقوية معناها، الاسم هو الضمير المتصل (الهاء) في (إنّهُ)، وهو في محل نصب اسم (إنّ)، والجملة الفعلية "كَان عَبْدًا شَكُورًا" تقع في محل رفع خبر (إنّ).

كان، فعل ماضٍ ناقص، اسمه ضمير مستتر جوازًا تقديره (هو)، (عبدًا) خبر كان منصوب، وشكورًا نعت له[1].

هذا التحليل يبيّن كيف أن دخول (كان) يعيد تشكيل العلاقة الإسنادية داخل الجملة، ويمنحها بعدًا زمنيًا دلاليًا وصرفيًا، (كان) فعل ماضٍ ناقص يدلّ على الزمن الماضي، غير أنّ دلالتها – كما أشار سيبويه – قد تتجاوز مجرد الإخبار عن زمن منقضٍ، إلى إفادة معنى الثبوت والاستمرار بحسب السّياق[2].

وفي السّياق القرآني، هنا لا تفهم (كان) على أنّها مجرد إخبار عن حدث مُنقضٍ، بل استخدمت لتوكيد ثبوت الصفة وتجذرها في شخصية نوح – عليه السلام، أما (عبدًا) وهو اسم مشتق من الجذر (ع ب د)، يدلّ على الخضوع والطاعة،

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتل، بهجت صالح: 240/6.

(2) ينظر: الكتاب: 46/1- 48.

ويستخدم هنا بوصفه توصيفًا لحالة نوح، (شكورًا) صيغة مبالغة على وزن (فعول) من الفعل (شكر)، وتدل على كثرة الفعل ودوامه، وهي صيغة تستخدم في القرآن الكريم لإبراز الصفات المتجذرة في الشخصية.

وورد أنّ الشّكور هو كثير الشكر، يُظهر النعمة ويُثني على المنعم بها، وقيل هو من امتلأ القلب بذكرها[1].

أما (عبد)، فهو من أطاع وانقاد، والعبودية في السّياق القرآني تحمل معنى الخضوع الكامل لله تعالى، وهي من أعلى مراتب الكمال الإنساني[2].

أما الأثر الحاصل من دخول (كان) على الجملة الاسمية فيتمثل في تحويلها من توصيف ثابت إلى توصيف يحمل دلالة الاستمرار والتّحقق، أي أنّ نوحًا – عليه السّلام – لم يكن شكورًا في لحظة عابرة، بل كانت الصفة ملازمة له، متجذّرة في سلوكه وسيرته، أما تقديم (عبدًا) على (شكور) فيُبرز أنّ الشّكر لا يصّح إلا من عبد خاضع لله، ما يضفي على الجملة طابعًا تعبديًّا عميقًا[3].

وأشار ابن عاشور إلى أنّ استخدام (شكورًا) بصيغة المبالغة يدلّ على أنّ الشكر كان صفة جوهريّة في شخصية نوح –عليه السلام– لا طارئة[4].

كما بيّن الزمخشري أنّ (كان) في هذا السّياق تدل على استمرارية الصفة لا على مجرّد وقوعها الزمني المنقضي، ما يضفي على الخطاب طابعًا توكيديًا يراد به غرس القدوة وترسيخ الاقتداء[5].

---

(1) ينظر:، لسان العرب، مادة (شكر) : 424/4.

(2) ينظر:: المصدر السابق، مادة (عبد) : 271/3.

(3) ينظر:: التحرير والتنوير: 26/15.

(4) ينظر:: المصدر السابق.

(5) ينظر:: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: 648/2 بتصرّف.

ويرى الباحث أنّ الجملة "كان عبدًا شـــكورًا" تجســـد كمال العبودية ودوام الاعتراف بالفضل الإلهي، حتى في أحلك الظروف، ما يجعل نوحًا – عليه السّلام – نموذجًا يُحتذى به في الشكر العملي والقلب واللسان.

فبهذا التّركيب تتّضح وظيفة النواسخ الفعلية في تثبيت المعنى وتعميق الإسناد بين المبتدأ والخبر، حيث يُبرز هذا التحوّل النّحوي أثر دخول الفعل الناسـخ في إبراز ثبات صفة الشّكر وربطها بالحدث القرآني.

وانطلاقًا من فهم وظيفة (كان وأخواتها) تنتقل الدراســـة إلى نموذج آخر من أدوات النّسخ، وهو أفعال الرجاء التي تُوظّف دلاليًا لبث الأمل أو الترجي في السّياق القرآني، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ عَسَـى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 8].

تتجلى الجملة ﴿عَسَـىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بوصـفها نموذجًا دقيقًا لتحوّل البنية الاسـمية عبر دخول أحد أفعال الرجاء، وهو الفعل (عَسَـى)، الذي يُعدّ من النواسـخ الجامدة، ويحدث أثرًا نحويًا ودلاليًا بالغًا في السّياق القرآني. من الناحية النّحوية، ورد الفعل (عَسَى) ناسخًا جامدًا، وهو من أفعال الرجاء التي تعمل عمل (كان) وأخواتها، (رَبُّكُمْ) اسم عسى مرفوع، وهو مضاف إلى ضمير المخاطبين (كم)، و(أن يَرْحَمَكُمْ) مصدر مؤول في محل نصب خبر عسى[1].

ذلك كما أشـــار المبرد إلى أنّ (عَسَـــى) من الأفعال التي تســـتخدم للتقريب وتحتاج إلى فاعل وخبرها مصدر[2].

(1) ينظر:: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 246/6.

(2) ينظر:: المقتضب: 68/3.

هذا التّركيب يُظهر كيف أن دخول (عَسَــى) يعيد تشــكيل الجملة الاســمية، ويمنحها بعدًا ترجيًا مشــروطًا لايُفهم فيه التمني المجرّد، بل يؤخذ على أنّه وعد إلهي بالرحمة إن تاب العباد[1].

(عَسَــى) فعل ماضٍ جامد لا يتصــرّف ويســتخدم للدلالة على الرجاء القريب الوقوع.

أما (يَرْحَمَ)، فهو فعل مضــارع منصــوب (بأنْ)، يدلّ على الرحمة. وهي من الألفاظ التي تحمل طابعًا وجدانيًا عميقًا في السّياق القرآني.

(ربُّ) اسم مشتق من الجذر (رب ب)، ويفيد التربية والرعاية ما يُضفي على الجملة طابعًا حنونيًا خاصًا.

ومعجميًّا، وردت حصــيرًا في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِــيرًا﴾ (لتكثّف مشــهد الوعيد)، إذ تدل لغويًا على الفراش أو البســاط المنســوج من البردي، لكنها تطلق أيضًا على السجن الضيّق المغلق، [2] وهو المعنى الذي يناسب السّياق الختامي للآية، حيث تُصوّر جهنم على أنّها مصير لا فكاك منه.

أما الأثر الحاصل من دخول (عَسَىٰ) على الجملة الاسمية فيتمثّل في تحويلها من الإخبار إلى رجاء مشروط، يُضفي على الخطاب نغمة رحيمة، ويُبقي باب الأمل مفتوحًا أمام المخاطبين.

وجملة (إنْ عدتم عدنا) تشكّل تهديدًا ضمنيًّا، ما يُبرز أنّ الرحمة ممكنة لكنها مشروطة، ويحدث توازنًا دقيقًا بين الرجاء والوعيد، وبين اللطف والعدل.

---

(1) ينظر:: التحرير والتنوير: 39/15 بتصرّف.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (حصَر) : 196/4.

واختيار (عسى) بدلًا من (سيرحمكم) يضفي بعدًا وجدانيًا راقيًا، ويُبرز علاقة القُرب والعناية من خلال تقديم لفظ (ربكم)، خاصة بعد مشهد العقوبة الشديدة في الآيات السابقة.

وقد أشار (ابن عاشور)، إلى أنّ (عسى) في هذا السّياق تفيد وعدًا إلهيًا مشروطًا، لا مُجرّد تمنٍ، ما يرسّخ مبدأ العدل المقترن بالرحمة في التعامل الإلهي.

وفي ختام الآية تتّسع الصورة لتربط بين فساد الدنيا وعقوبة الآخرة، فكان المصير للكافرين سجنًا أبديًا لا فكاك منه، وهو ما يجسد البنية البلاغية المحكمة التي توجه الوعي وتؤسّس للموقف النفسي والروحي الذي يراد غرسه في المتلقي.

ويرى الباحث أن (عسى) بما تحمله من دلالة الرجاء المشروط تعد من النواسخ التي تحدث تحولاً نحويًا ودلاليًا عميقًا في الجملة الاسمية وتسهم في تحقيق الأهداف الدلالية للنص القرآني، بوصفها أداة لا تخبر فقط، بل توجّه وتربّي وتؤسّس لموقف وجداني متكامل، يجمع بين الأمل والخوف، وبين الرحمة والعدل في خطاب قرآني بالغ التأثير.

ويرى الباحث أن تناول (عسى) ضمن الأفعال الناقصة يبرز أثرها في تحويل الجملة الاسمية إلى بنية دلالية تحمل الرجاء والتوجيه[1].

وفي سياق (سورة الإسراء)، وبعد عرض مشاهد العقوبة والرجاء المشروط في حق بني إسرائيل ينتقل الخطاب في الآية الثالثة والسبعين إلى تنبيه خاص موجه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– يبرز التوجيه الإلهي في تثبيت الرسول أمام محاولات الإغراء والفتنة.

(1) ينظر:: المقتضب: 68/3.

وتُعدّ هذه الآية نموذجًا آخرًا لتوظيف أدوات التحويل النّحوي في الجملة الاسمية، حيث ورد فيها الفعل الناسخ (كاد) بصيغة مؤكدة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ... ﴾ [الإسراء، من الآية: 73]

(كادوا) فعل ماضٍ ناسخ جامد، مبني على الضم، والواو ضمير في محل رفع اسم (كاد).

أما (ليفتنونك) فهي جملة فعلية في محل نصب خبر (كاد)، واللام الداخلة على الفعل المضارع تُعرف بلام الفرق، وتستخدم لتقوية العلاقة بين الفعل وجوابه، وتدل على اقتراب وقوع الفعل دون تمامه، و(إنْ) في بداية الجملة استئنافية مخففة مهملة، تفيد التوكيد والتحذير[1].

(كاد) فعل ماضٍ جامد لا يتصرف، يدلّ على المقاربة، ويعمل عمل (كان) في رفع الاسم ونصب الخبر.

أما (لَيَفْتِنُونَكَ)، فهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، مشتق من الجذر (فتن)، وتفيد الإغواء والاختبار والتضليل[2].

ودلاليًا استخدام (كاد) في هذا السّياق يُضفي على الخطاب طابعًا تحذيريًا دقيقًا، ويُبرز حجم الضغوط التي تعرّض لها النبي- صلى الله عليه وسلم- من المشركين، لمحاولة صرفه عن الوحي، مع التلويح بالتوّدد أو المسايرة الجزئية.

وقد عبّر القرآن عن هذه المحاولة بعبارة (كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ)، وهي صيغة تجمع بين شدة الاحتمال واستحالة التحقّق، بفعل الحفظ الإلهي[3].

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي: 90/8.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (فتن) : 320/13.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 300/10.

ويؤكد هذا المعنى استخدام لام التوكيد في (لَيَفْتِنُونَكَ) التي تضفي على الفتنة طابعًا خطيرًا وشديد الاحتمال[1].

تُسهم هذه الآية في تصوير مكانة النبي –صلى الله عليه وسلم– وسمو عظمته، تظهر أنّ مكر الكفار بلغ حدًّا خطيرًا، لكنّه لم ينل من ثباته، ما يعزّز منظومة التثبيت الإلهي للرسول عبر أداة نحوية دقيقة تُؤدّي دورها بأعلى طاقة تعبيرية.

وهكذا تتحوّل (كاد) من مجرد فعل دال على المقاربة إلى أداة بلاغية، تُجسّد شدة الفتنة وعظمة التثبيت.

وباستقراء مواضع الأفعال الناسخة في سورة الإسراء يتبين أنّ توظيفها جاء متنوعًا في أغراضه ومقاصده السّياقية؛ فبينما ورد الفعل (كان) في قوله تعالى:

﴿إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، لتأكيد رسوخ صفة الشكر في سيرة نوح – عليه السلام – وارتباطها بجوهر العبودية الخالصة، وجاءت (عسى) في قوله تعالى:

﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾، بمعنى الرجاء المشروط الذي يُوازن بين الرحمة والعدالة، ويُبقي باب الأمل مفتوحًا مع إثبات أهلية العقوبة.

أما (كاد) في قوله تعالى:

﴿وإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾، أدّت وظيفة تصويرية تُعبّر عن خطورة الفتنة وقوة التثبيت الإلهي للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما يعكس توظيفًا بلاغيًا دقيقًا للفعل الناسخ في بناء التحذير وتثبيت العصمة.

ومن ثمّ، تظهر هذه الأمثلة الثلاثة أنّ الأفعال الناسخة في سورة الإسراء لم تؤد وظيفة نحوية تقليدية فحسب، بل تمّ توظيفها لتُسهم في بناء السّياق العقدي

(1) ينظر: النّحو المصفي: 272/1، ينظر: التطبيق النّحوي: 138/1.

والدلالي، ما يؤكّد قدرة أدوات التحويل على نقل الجملة الاسمية من مجرّد إسناد إلى بنية تعبيرية ذات أثر بلاغي ومعنوي عميق.

وانطلاقًا من هذا السّياق ينتقل البحث إلى (سورة الصّف)، حيث تتجلى الأفعال الناسخة في موضعين دلاليين بارزين، هما الآيتان (11، 14)، ليعاد من خلالهما توظيف الفعل الناسخ ضمن الخطاب القرآني بطابع تعبوي جهادي، يعزّز التحفيز الإيماني ويرسّخ التمايز السلوكي، ويُبرز الأثر التربوي والتعبيري لتلك البنية النّحوية في سياق مختلف عمّا ورد في السورة السابقة.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارًا لِّلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: 14].

وردت الآية في سياق تعبوي إيماني يُحفّز المؤمنين على الانخراط العملي في نصرة الدين، من خلال نداء مباشر يعرض نموذجًا تاريخيًا في الاستجابة لدعوة الحق، ويُبرز النتيجة الحتمية لتأييد الله للمؤمنين[1].

حيث جاء الفعل (كونوا) فعل أمر ناقص من (كان)، مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع اسم (كان)، و(أنّصارًا) خبر (كان) منصوب، لله: جار ومجرور، أما (أصبحوا) فهو فعل ماضٍ ناقص من أخوات (كان)، والواو ضمير متصل في محل رفع اسم (أصبح)، ظاهرين: خبر منصوب وعلامة نصبه الياء لأنّه جمع مذكر سالم[2].

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: 623/22.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش: 86/10، 87.

والجملة (كونوا أنصارًا لله) تتضمن تركيبًا نحويًا من فعل ناسخ واسمه وخبره، يضفي على الخطاب طابعًا توجيهيًا مباشرًا. أمّا (أصبحوا ظاهرين) فهي جملة فعلية خبرية ناسخة تُفيد التحوّل، مسبوقة (بالفاء) التي تُفيد التعقيب الزمني.

(كونوا) من الجذر (كان) على وزن (فلو) بصيغة الأمر، وتدل على الطلب المباشر للفعل.

(أنصارًا) جمع نصير، وهو المعين والمساعد[1]، و(الحواريون) جمع حواري وهو الخالص أو الناصر المخلص[2]، وسمي أصحاب عيسى – عليه السلام– بذلك لإخلاصهم له في النصر.

أمّا (أصبحوا) فعل ماضٍ مزيد بالهمزة والألف من الجذر الثلاثي (صبح)، على وزن (أفعلوا)، وظاهرين اسم فاعل من ظهر أي غلب وتفوق.

إنّ دخول (كان) بصيغة الأمر يُحوّل الخطاب من نداء إلى توجيه تعبوي يعزّز ضرورة الانخراط العملي في نصرة الدين، لا الاكتفاء بالتصديق القلبي.

أمّا ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ، فيبرز التحوّل الزمني المفاجئ من حالة الضعف إلى الغلبة، ويُوحي بانبثاق النّصر كطلوع الصّباح بعد ليل من القهر، ما يعزّز المشهد الحركي للانتصار.

إنّ اختيار (أصبحوا) بدلًا من (كانوا) يحمل دلالة بلاغية دقيقة، تشير إلى سرعة التغيّر والانقلاب في الحال، وتبرز أنّ الغلبة تحققت بتأييد إلهي لا بجهد بشري فقط[3].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (نصر) : 210/5.

(2) ينظر: المصدر السابق، مادة (حور) : 220/4.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 197/28.

ويرى الباحث أنّ توظيف الفعلين الناســخين (كونوا) ، (أصــبحوا) في هذه الآية جاء بوظيفة بلاغية تربوية تُعبّر عن التحوّل من التوجيه إلى النتيجة، وتعيد إنتاج النموذج التاريخي في سياق تعبوي معاصر.

أما (كونوا أنصارًا لله) فيُحفّز على الاقتداء بالحواريين، ويُرسّخ أنّ نصرة الحق سنة ماضية في الأنبياء وأتباعهم.

و﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ، تُجسّد تحقق النّصر الإلهي كنتيجة حتمية للإيمان والعمل، وتضــفي على الخطاب بُعدًا شــعوريًا يُحرّك الوعي الإيماني، ويُحفّز على الانخراط في مشروع النّصرة الإلهية.

إنّ ما ورد في تحليل الآية (14) من (سورة الصّف) يظهر بوضوح كيف أنّ (كان) ، (أصبح) لم تُستخدم لمجرّد البناء النّحوي، بل جاءت لتجسّد تحوّلات عقلية وســلوكية وزمنية ترتبط بمقامات الخطاب المختلفة. هذا التّوظيف المُحكم للأفعال الناسخة، رغم محدوديته العددّية في (سورة الصّف)، إلا أنّه يُعبّر عن انسجام دقيق بين البنية النّحوية والمقصد الدعوي والتحريضي للسّورة، ويُبرز أنّ الانتقال من الدعوة إلى النتيجة، ومن البذل إلى النّصــر، ومن الضّــعف إلى الظّهور، قد تمّ عبر أدوات نحوية ذات حمولةٍ دلالية عميقة.

أبرز هذا المطلب كيف أنّ الأفعال الناســخة وعلى رأســها (كان وأخواتها) قد تجاوزت وظيفتها النّحوية التقليدية المرتبطة بالزمن، لتُصــبح أدوات تعبيرية فاعلة في بناء المعنى القرآني، وتحريك الجملة الاسمية من حالة السكون إلى التفاعُل الدلالي.

ومن خلال الاستقراء، تبين أنّ سورة التغابن اقتصرت على موضع واحد للفعل الناسخ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [التغابن: 6] ، وهو موضع يحمل دلالة تحضيرية تبرز حال المكذبين، وتظهر كثافة التبايُن رغم الإنكار، بينما جاءت (سورة الأعلى) اسـتثناءً تركيبيًّا خالية من الأفعال الناسـخة، بما ينسـجم مع طبيعة السّورة التي يغلب عليها طابع التنزيه والتّسبيح المباشر.

وقد أظهرت الدراسة أنّ هذه الأفعال استخدمت في سياقات متعددة، لتثبيت صفات إيمانية، وتقرير حقائق عقدية، وتأكيد مصير ضمني ما يعكس مرونة البنية النّحوية في خدمة المقاصد التعبيرية والتربوية للنّص القرآني.

وأظهرت الدراسة في السّياق القرآني كيف تُستخدم هذه الأدوات لتشكيل الوعي، وتكثيف الدّلالة، وتحفيز الفعل الإيماني، ولهذا فإنّ دراستها لا تقف عند حدود التراكيب، بل تمتد إلى وظيفتها التربوية والتعبيرية في بناء الخطاب القرآني، بوصفه نصًا حيًّا يُناجي الإنسان على اختلاف حاله وزمانه.

ولذلك توصي الدراسة بضرورة إعادة النّظر في تناول الأفعال النّاسخة في المناهج النّحوية، بحيث لا تُعرض بوصفها أداة زمنية جامدة، بل تُدرس باعتبارها وسائط لغوية حيّة تُسهم في تشكيل الوعي، وتكثيف الدّلالة، وبناء الخطاب بما يتناسب مع روح اللغة العربية في استعمالها القرآني.

ثانيًا- النّواسخ الحرفية وأثرها في البنية الاسمية:

تُعدّ الحروف الناسخة من أبرز عناصر التحوّل التي تؤثّر في البنية الإسنادية للجملة الاسمية، إذ تدخل عليها فتغير موقع المبتدأ أو الخبر، وتُضفي على الجملة دلالات بلاغية ومعنوية متنوعة.

وتنقسم الحروف الناسخة إلى نوعين رئيسين حروف (إنّ وأخواتها)، والحروف العاملة عمل (ليس)، فأما الأولى فهي أدوات مشبّهة بالفعل، تعمل على نصب المبتدأ ورفع الخبر، وتسهم في توجيه المعنى نحو مقاصد مخصوصة كالتوكيد، والتّمني، والترجّي، والتّشبيه، والاستدراك[1]، وقد ذكر النّحاة أنّ هذه الحروف شُبّهت بالأفعال في عملها لاشتراكها معها في التعدي إلى المبتدأ والخبر[2]، وتنقسم النواسخ الحرفية إلى قسمين رئيسين:

---

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 313/1.

(2) ينظر: النّحو المصفي: 1 /292.

1- الحروف المشبهة بالفعل (العاملة عمل إنّ)

وهي: إنّ، أنّ، ولكنّ، وكأنّ، وليت، ولعلّ، ولكل منها وظيفة دلالية خاصة؛ فـ (إنّ، وأنّ) تفيدان التوكيد، (كأنّ) تُفيد التشبيه، (لكنّ) تُفيد الاستدراك، (ليت) للتمني، (لعلّ) للترّجي أو الاشفاق[1].

ويُلاحظ أنّ دخول هذه الحروف على الجملة الاسمية لا يُغيّر فقط من تراكيبها اللغوية، بل يعيد تشكيل العلاقة الإسنادية بين طرفي الجملة الاسمية، ويُوجّه المتلقي نحو تأويل مخصـــوص مما يجعلها من أدوات التحوّل الجوهرية في البنية النّحوية والدلالية.

وقد أشـار السّـيوطي (ت 911 هـــ) إلى أنّ هذه الحروف تحدث أثرًا نحويًا واضـحًا في الجملة الاسمية، وتُسـهم في بناء المعنى من خلال التوجيه البلاغي الذي تُضيفه[2].

ومن خلال ذلك يتبيّن أنّ دراسة (الحروف الناسخة) تُبرز كيف تُسهم عناصر التحوّل في إعادة تشـــكيل الجملة الاســـمية، وتُظهر قدرة اللغة العربية على التعبير الدقيق عن المعاني بواســـطة أدوات نحوية تحمل في طياتها دلالات بلاغية تُثري البنية الإسنادية وتُعزّز فاعلية الخطاب اللُغوي.

ومما يذكر في هذا السّياق إشارة ابن الناظم (ت 686هـــ) إلى وجوب كسر همزة (إنّ) في مواضـــع نحوية مخصـــوصـــة، وقد وقع خلاف بين النّحاة في بعض المواضـع، ولاسـيّما ما يقع بعد الأفعال المعلّقة حول مسـألة: هل تُلحق هذه المواضـع بالأصول أم تُستثنى منها[3].

---

(1) ينظر: النّحو الوافي: 631/1.

(2) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 484/1.

(3) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 117/1.

غير أنّ هذه الدراسة لا تتناول تفصيل مواضع كسر همزة (إنّ) وفتحها، إذ يقتصر الاهتمام على أثر دخول النواسخ الحرفية في البنية الاسمية، وما تحدثه من تحوّل إسنادي بين المبتدأ والخبر، دون التّطرّق إلى الجوانب الإملائية أو السّياقية التي تقع خارج نطاق التحليل النّحوي الوظيفي.

ومن الناحية التّركيبية تحدث هذه الحروف تحولًا في العلاقة الإسنادية داخل إطار الجملة الاسمية، إذ تعطي المبتدأ والخبر أدوارًا جديدة في البنية[1].

أما من الناحية الدلالية فإنّ لكل أداة وظيفة بلاغية تُسهم في توجيه الجملة نحو مقصد معنوي مخصوص؛ فـ(إنّ) تفيد التوكيد والتقرير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة، من الآية 41)، و(كأنّ) تُفيد التشبيه والتمثيل نحو: كأنّ القمر فضّة، (لكنّ) تُفيد الاستدراك، و(ليت) لتمني ما لا يُرجى وقوعه، مثل قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل المشيب (*)

و(لعلّ) للترجي أو الإشفاق بحسب المقام[2] نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة، من الآية: 189].

ويستفاد من خلال الدراسة أنّ النواسخ الحرفية – بخلاف النواسخ الفعلية – لا تُضيف على الجملة الاسمية دلالة زمنية أو حالًا متغيرًا، وإنّما تُؤدّي وظيفة دلالية تتصل بطبيعة المعنى المقصود مثل التوكيد أو الترجي أو التمني أو الاستدراك، وقد أشار المبرّد إلى هذه المعاني في شرحه لأدوات النّسخ الحرفية دون أنّ يربطها بزمن أو حال، مما يدلّ على أنّ هذه الأدوات تُستعمل لتوجيه المعنى لا لتغييره.

---

(1) ينظر: المقتضب: 109/4 بتصرّف.

(*) بيت الشعر لأبي العتاهيه (إسماعيل بن القاسم العنزي)، (828/748م)، شعر الزهد ورد في ديوانه.

(2) ينظر: توجيه اللمع، ابن الخباز: 1/ 147.

وهو ما يجعل النواسخ الحرفية عنصرًا أساسيًا في تحليل النّصوص العربية، لاسيّما في القرآن الكريم، الذي يُوظّف هذه الأدوات لبناء المعنى وترسيخ الدّلالة وقطع الشّك باليقين، من خلال توجيه الخطاب بأساليب بلاغية دقيقة.

2- الحروف المشبهة بليس (العاملة عمل ليس):

أما النوع الثاني وهو الحروف المشبهة بـ(ليس) فتُعدّ من النّواسخ الحرفية التي تُحدث تحولًا في البنية الإسنادية للجملة الاسمية، إذ تدخل عليها فترفع الاسم وتنصب الخبر، وتُضفي عليها طابع النفي البنيوي، ومن أبرز هذه الحروف: (ما) الحجازية، (لا) النافية للجنس، ولات، (إنّ) في بعض استعمالاتها النادرة.

وقد تناول النّحاة هذه الحروف بتفصيل دقيق، فبيّنوا شروط عملها ومواطن إهمالها، وأثرها في التركيب والدّلالة، فقد أفرد سيبويه في كتابه بابًا خاصًا لما أجري مجرى (ليس)، وبيّن أنّ (ما الحجازية) تعمل عمل ليس، إذا لم يقدّم معمول الخبر على الاسم، مؤكّدًا أنّ دخول الباء الزائدة على الخبر يُقوّي عملها[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[التكوير: 22].

أما المبرد فقد ناقش شروط إعمال (لا) النافية للجنس، واشترط أن يكون اسمها نكرة غير مضاف، وأن يكون خبرها مفردًا غير جار ومجرور، وأورد شواهد قرآنية وشعرية تُؤكد ذلك[2].

وبيّن (ابن جني) أنّ (ما) الحجازية تُعدّ فرعًا من (ليس)، وأنّ إعمالها يُعدّ قياسًا قويًا في لهجة الحجازيين، كما ناقش أثر دخول الباء الزائدة على الخبر في تقوية العمل، ووضّح الفرق بين (ما) الحجازية و(ما) التميمية مُبيّنًا شروط العمل النّحوي بدقة، مع عرض شواهد نحوية دقيقة تُؤيّد مذهبه[3].

---

(1) ينظر: الكتاب: 57/1.

(2) ينظر: المقتضب: 189/4.

(3) ينظر: توجيه اللمع: 1 /147، 148.

أمّا ابن الناظم، فقد فصّل عمل (لات) وبيّن أنّها لا تعمل إلّا إذا كان اسمها وخبرها ظرفين، كما في قوله تعالى:

﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [سورة ص: 3][1].

وتُظهر هذه الحروف دلالة النفي، وتُسهم في بناء خطاب لغوي قائم على التنزيه أو النفي المطلق.

وهي تختلف عن (ليس) الفعلية في كونها حروفًا مبنيّة لا تقبل التصريف، ما يجعلها أكثر ثباتًا في التّركيب وأقرب إلى الوظيفة الزمنية التي تحملها الأفعال الناسخة.

3- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

بناءً على هذا الأساس النظري، ينتقل البحث إلى الجانب التطبيقي، بتحليل نماذج قرآنية مختارة من سور المسبحات، لبيان أثر هذه الحروف في تشكيل الدّلالة وتوجيه الخطاب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنّ هَذَا الْقرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الاسراء: 9].

يظهر توظيف الحرف الناسخ (إنّ) بوظيفة نحوية ودلالية بالغة الأهمية، (إنّ) هنا حرف توكيد ونصب مبني على الفتح وقد دخل على الجملة الاسمية فأحدث فيها تحولًا وظيفيًا، حيث نصب المبتدأ (هذا) وهو اسم إشارة مبني في محل نصب اسم (إنّ)، ورفع الخبر المتمثل في الجملة الفعلية: (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) التي تقع في محل رفع خبر (إنّ)، أما القرآن: هو بدل من اسم الإشارة (هذا)، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[2].

وقد أشار ابن يعيش (ت 643 هـ)، إلى أنّ:

---

(1) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 103/1.

(2) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 246/6.

(إنّ) من النواسخ الحرفية التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر، وتعمل في الجملة الاسمية لشبهها بالفعل، وهي تشمل (إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ، ليت، لعل) [1].

ويُضيف ابن الناظم (ت686هـ) أنّ: (إنّ) المكسورة الهمزة هي الأصل، وتأتي مفتوحة الهمزة إذا عرض لها أن تكون ومعمولها في تأويل المصدر[2].

مما يُضفي على استخدامها طابعًا نحويًا خاصًا يرتبط بالمعنى المقصود.

من الناحية الصـــرفية، فإنّ (القرآن) مصـــدر على وزن (فُعلان) من الجذر (قرأ)، الذي يدلّ على الجمع والضّـم، ويُطلق على الكتاب المنزّل[3]، أما (يهدي) فهو فعل مضـارع من (هدى)، ويعني الإرشـاد والتوجيه، في حين أنّ (أقوم) اسـم تفضـيل من (قَوِم)، ويعني الأكمل والأعدل والأصوب، ويدلّ على الاستقامة والاعتدال[4].

أما من الناحية الدلالية، فإنّ دخول (إنّ) في صدر الآية يُفيد التوكيد، ويُضفي على الحكم طابعًا قطعيًا، حيث يُشعر المتلقي بأنّ الهداية القرآنية ليست مجرّد إرشاد، بل توجيه نحو الأكمل والأقوم.

ويُفهم من السّـياق أنّ هذا التوكيد جاء ردًا ضـمنيًا على من يشـكك في الهداية القرآنية أو يُنكرها، مما يعزّز البُعد القيمي للخطاب القرآني ويمنحه قوة بلاغية [5].

فـالأثر النـاتج من دخول (إنّ) يتمثّـل في التحوّل الـذي أحـدثتـه في البنيـة الاســمية، إذ جعلت الحكم مؤكدًا ومقررًا، ما يعزّز مكانة القرآن في النفوس ويُشـــعر المتلقي بأنّ الهداية ليست اختيارية، بل واجبة الاتباع. هذا التحوّل يُعيد تشكيل البنية الاســمية ويمنحها طابعًا بلاغيًا تأكيديًا قويًا، يرسّـــخ المعنى في ذهن المتلقي ويعزّز أثره.

---

(1) ينظر: شرح المفصّل: 254/1.

(2) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 118/1.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (قرأ) : 128/1.

(4) ينظر: المصدر السابق، مادة (قوم) : 505/12.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 44/15.

ويرى الباحث أنّ توظيف (إنّ) في صـــدر الآية يُعدّ من عناصـــر التحويل البلاغي التي تُعيد تشكيل البنية الاسمية وتُضفي طابعًا توكيديًا يعزّز المعنى ويثبته ويمنح الخطاب القرآني بُعدًا قيميًا واضحًا.

وقد أشـــار العلماء إلى أهمية هذا التوظيف، حيث يرى (ابن يعيش) أنّ (إنّ) تعمل عمل الأفعال لشبهها بها، بينما يُوضّح (ابن الناظم) أنّ الأصل فيها أن تكون مكســـورة الهمزة، وتفتح إذا كان معمولها في تأويل المصـــدر، ما يدلّ على عمق التحليل النّحوي والدلالي لهذا الحرف الناسخ في السّياق القرآني.

ومن النواسخ الحرفية التي وردت في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 13].

حيث تعمل (لكنّ) عملها النّحوي في نصـــب الاســـم ورفع الخبر، مع توجيه المعنى في السّياق الحواري.

لكنّ: حرف ناسخ يُفيد الاستدراك مبني على الفتح، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسم (لكنّ)، فتنتم: فعل ماضٍ مبني، والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل، أنّفسكم، مفعولًا به منصوب، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنّ) [1].

وقد نصّ (سيبويه) على أنّ (لكنّ) تعمل عمل (إنّ) إلا أنّها تُفيد الاستدراك[2].

ومن حيث الصرف، (فتن) من الجذر (فتن)، يدلّ على الابتلاء والاضطراب، و(ارتاب) من الجذر (ريب) وهو الشّك المصحوب بالخوف، ويدلّ على اضطراب داخلي في التصوّر والموقف.

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 146/4.

(2) ينظر: الكتاب: 131/2.

أما من الناحية المعجمية، مادة (ف ت ن) تدل على الاختبار والابتلاء، ومنه فتنت الذهب بالنار: أي محصته، وتأتي أيضًا بمعنى الصّرف عن الحق والإهلاك، وتعني في الآية أنّكم أهلكتم أنفسكم بالمعاصي وأوردتموها موارد العطب[1].

ودلالة (لكنّ) في هذا السّياق تُفيد الاستدراك[2]، أي أنّها تردّ على ما قد يُفهم من الجملة السابقة (بلى) التي تُقرّ بأنّ المنافقين كانوا مع المؤمنين، فتأتي (لكنّكم) لتُزيل هذا الإبهام وتُبيّن أنّ تلك المعيّة كانت ظاهرية لا حقيقية.

فالدّلالة البلاغية للحرف الناسخ هنا هي الاستدراك والتفنيد، إذ يُراد به نقض التصوّر الذي قد ينشأ من جوابهم، وتوضيح أنّ السبب الحقيقي للفصل بينهم وبين المؤمنين هو ما اقترفوه من فتنة وتربّص وريبة.

أما (فتنتم أنّفسكم) فهي تعبير عن الانحراف الذاتي، حيث أسند الفعل إلى المخاطبين أنفسهم، مما يُبرز مسؤوليتهم المباشرة عن ضلالهم[3].

و(ارتبتم) يدلّ على الشك والتردد، وهو من خصائص المنافقين الذين لا يثبتون على يقين، بل يتقلّبون بين الإيمان والكفر.

لكنّ تُفيد الاستدراك وتُستعمل لنقض ما يُفهم من الكلام السابق، وهو ما ينطبق على هذه الآية، حيث جاء الاستدراك ليفصل بين ظاهر المعيّة وحقيقتها، وقد أشار ابن عاشور (ت1393هـ) إلى أنّ هذه الجملة تبيّن الأسباب الحقيقية التي حالت دون لحاق المنافقين بالمؤمنين، وهي أربعة أفعال مُتتابعة تبدأ بـ (فتنتم أنّفسكم) مما يُبرز التدرّج في الانحراف[4].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (فتن) : 317/13.

(2) ينظر: المقتضب: 107/4.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 458/29، بتصرّف.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 381/27.

وأحدث دخول (لكنّ) تحوّلًا في البنية الاســـمية من حيث الوظيفة الدلالية، إذ نقل الجملة من الإقرار إلى التفنيد، ومن المعيّة الظاهرية إلى بيان الانفصال الحقيقي، مما يُشعر المتلقي بأنّ النفاق ليس مُجرّد موقف، بل سلسلة من الأفعال التي تُفضي إلى التباعد عن الحق.

إنّ توظيف (لكنّ) في هذا السّياق يُعدّ من عناصر التحويل التي تُعيد تشكيل البنية الاسمية، وتُضفي عليها طابعًا بلاغيًا حاسمًا، يُبرز الفرق بين الظاهر والباطن، ويُرسّـــخ في ذهن المتلقي أنّ المعيّة الشـــكلية لا تُغني عن الإيمان الحقيقي، وأنّ الانحراف يبدأ من النفس وينتهي بالريبة والخذلان.

كما وردت في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُـولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6].

يظهر التّركيب النّحوي في غاية الدّقة، حيث تبدأ الجملة بحرف (لكنّ) وهو من الحروف الناســخة التي تعمل عمل (إنّ)، إذ تنصــب الاســم وترفع الخبر، وتُفيد الاستدراك، وقد وردت بعد نفي إيجاف المسلمين على الفيء، ما يُحقّق شرط دخولها على جملة منفيّة، كما قرر (سـيبويه) بأنّ (لكنّ) تنصــب الاســم وترفع الخبر وتكون للاستدراك ولا تدخل إلّا على جملة منفيّة[1].

واســمها المنصــوب هو لفظ الجلالة (الله)، والخبر جملة فعلية (يُسـلّط رسـله على من يشاء)، وتتكون من فعل مضارع (يُسلّط)، والفاعل ضمير مستتر يعود على (الله)، (رسله) مفعول به أول، (على من يشاء) جار ومجرور[2].

وقد أشار (ابن الناظم) إلى أنّ:

---

(1) ينظر: الكتاب: 131/2.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 38/10.

(لكنّ) لا تدخل إلّا على منفيّ، وتفيد رفع توهّم قد ينشأ من الجملة السابقة، وهو ما يتحقق في هذا السّياق القرآني[1].

أمّا من حيث التحليل الصرفي والمعجمي، فالفعل (يُسلّط) مضارع مضعّف من الجذر (سَلَط) ، وهو فعل مزيد بالتضعيف، يُفيد التمكين والقهر، ويستخدم في اللغة للدلالة على الغلبة، ويقال (سلّطَ اللهُ فلانًا على فلان) أي جعله غالبًا عليه.

وصيغة المضارع هنا تُعطي دلالة الاستمرار والتكرار، لا الحدث اللحظي، ما يعزّز معنى القدرة الإلهية المستمرة.

أمّا (رسله) فهي جمع (رسول) من الجذر (رسل)، أي المرسل برسالة، ويُطلق على النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ورد أنّ الرسول هو من يبعث برسالة، ويطلق على النبي [2].

قدير من الجذر (قَدَرَ) ، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، يدلّ على القدرة المطلقة دون عجز[3].

إنّ الدّلالة التي يحملها هذا التّركيب تتجاوز البنية النّحوية إلى المعنى العقدي، إذ إنّ دخول (لكنّ) أحدث استدراكًا بلاغيًا ونحويًا، يُزيل توهّم أنّ المسلمين هم من استحقوا الفيء بجهدهم، ويُقرّر أنّ الله هو الذي يُسلّط رسله، ما يُحوّل المعنى من الفعل البشري إلى القدرة الإلهية.

هذا التحوّل يعيد ترتيب العلاقة بين السبب والنتيجة، ويُبرز أنّ النّصر ليس دائمًا نتيجة مباشرة للعمل، بل قد يكون منحة إلهية خالصة.

---

(1) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 1/ 116.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (رسل) : 283/11.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (قدر) : 37/12 نسخة ورقية.

كما أنّ استخدام الفعل (يسلّط) يشير إلى أنّ هذا التمكين ليس خاصًا بزمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، بل هو سُنّة إلهية مستمرة، ما يمنح الآية بُعدًا تشريعيًا وتاريخيًّا، ويُؤسس لمبدأ قرآني في فهم النّصر والتمكين.

والأثر الحاصل من هذا التّركيب يتجلى في ترسيخ مفهوم التوكّل على الله، وتأكيد أنّ النّصر لا يُقاس بالعدة والعتاد، بل بالرضا الإلهي، ويُمنح لمن يشاء الله من رسله، سواء بالقتال أو بالرعب أو بالهداية.

كما أنّ هذا الاستدراك يُوجّه المؤمن إلى إدراك أنّ الفضل الإلهي هو الأصل في التمكين، لا مُجرّد الجهد البشري ، وهو ما أشار إليه ابن عاشور، حين بيّن أنّ الآية تفيد القصر المعنوي، كأنّ المعنى:

(فما سلّطكم الله عليهم، ولكن سلّط عليهم رسله)، ما يُبرز التوجيه الإلهي في منح النصر دون قتال[1].

ويرى الباحث أنّ استخدام (لكنّ) في هذا الموضع يُجسّد بلاغة قرآنية دقيقة تُعيد توجيه الفهم من الظاهر إلى الباطن، ومن الجهد إلى الفضل، فالله يُسلّط رسله لا لأنّهم قاتلوا، بل لأنّه شاء ذلك.

وهذا التوجيه يُعمّق الوعي الإيماني بأنّ النّصر لا يُقاس بالقوة البشرية، بل هو تجلٍّ للقدرة الإلهية، ويُعدّ هذا التركيب نموذجًا راقيًا في الاستدراك القرآني الذي يجمع بين النّحو والدّلالة والبلاغة في آن واحد، ويُؤسّس لفهم قرآني مُتوازن للعلاقة بين الأسباب الظاهرة والمشيئة الإلهية.

وجاءت (لعلّ) حرفًا ناسخًا يُفيد الرجاء في قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة، من الآية: 10]

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 82/28 بتصرّف.

وهو توجيه تعبدي يختتم به الأمر بالسّـــعي في الأرض بعد أداء الصـــلاة، ويُربط الفلاح بكثرة الذّكر.

(لعلّ) من النواسخ الحرفية تُفيد الرجاء، تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر، و(الكاف): ضمير متّصل في محل نصب اسم (لعلّ)، (تُفْلِحُونَ) جملة فعلية في محل رفع خبر (لعَلَّ)[1].

أما من حيث التحليل الصـرفي، فإنّ (تفلحون) فعل مضـارع من (أفلح) على وزن (تفعلون)، والواو في محل رفع فاعل، والنون علامة رفع.

ومعجميًّا (تُفْلِحُونَ) من (فلح) أي فاز ونجح، (فلح الرجل) إذا ظفر بالخير، والفلاح هو الظفر بالمطلوب[2].

خاصة في الأمور الدينية والدنيوية، ويقابل الخسران في المعنى.

أمّا دلالة الحرف الناسخ (لعَلَّ) فهي الرجاء، لكنّها هنا ليست مُجرّد تمني، بل رجاء تحفيزي يُوجّه الخطاب نحو العمل الصالح، ويُعلّق عليه أمل الفلاح، ما يضفي على الأمر طابعًا تعبديًا يُحفّز النّفس على الإكثار من الذّكر، ويُعلّق عليه أمل الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة [3].

وقد ترتّب على دخول (لعلَّ) في هذا السّـــياق أثر بلاغي بالغ، إذ أحدثت توجيهًا نفسـيًا نحو العمل، وربطت بين العبادة والنتيجة المرجوّة، ما يُحوّل الرجاء إلى دافع عملي، ويُرسّـــخ في وعي المخاطب أنّ الفوز الحقيقي لا يتحقق إلا بالصـــلة الدائمة بالله، وأنّ السّعي في الأرض لا ينفصل عن العبادة، بل يتكامل معها.

---

(1) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 14/12.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (فلح) : 447/2.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 219/28.

وقد أشار (الزمخشري) إلى أنّ (لعلّ) في هذا الموضع تُضفي على الخطاب طابعًا بلاغيًا يُرسّخ المعنى، ويُهيئ النّفس لتقبُّل التوجيه الإلهي بقبول ورغبة[1].

ويرى الباحث أنّ استخدام (لعلّ) في ختام هذه الآية يُجسّد وظيفة بلاغيّة، حيث يُعلّق الفلاح على كثرة الذّكر، ما يُحوّل الرجاء إلى دافع عملي، ويُرسّخ في وعي المخاطب أنّ الفوز الحقيقي لا يتحقق إلا بالصلة الدائمة بالله، وأنّ السعي في الأرض لا ينفصل عن العبادة، بل يتكامل معها.

وهذا التوجيه يتناسب مع بنية (سورة الجمعة) التي تربط بين الشّعائر والعمل، وتُرسّخ مفهوم التوازن بين الدنيا والآخرة، في خطاب تعبوي توحيدي مُحكم.

وعلى الرغم من قصر (سورة الجمعة)، إذ لا تتجاوز آياتها الإحدى عشرة، فقد وردت فيها ثلاثة أحرف ناسخة، كان لها دور بلاغي بارز في تأكيد المعاني وترسيخ الحقائق العقدية.

فجاء الحرف الناسخ (أنّ) في الآية السادسة من قوله تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾، لُيؤكّد مضمون الزّعم المنسوب إلى اليهود، ويكشف بطلانه من خلال إلزامهم بمقتضاه، وقد أشار (الزمخشري) إلى أنّ هذا الأسلوب أُريد به التوبيخ وإظهار الكذب في دعواهم[2].

كما تكرّر ورود (إنّ) في الآية الثامنة مرتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾، فجاء التوكيد هنا ليقرر حتمية الموت، وينفي إمكان الفرار منه.

وقد أوضح (الرازي) أنّ تكرار (إنّ) في الآية مقصود به المبالغة في تحقيق الوقوع، وإبطال الظن بالفرار[3].

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 535/4.

(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 531/4.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب: 541/30.

أما (لعلّ) فقد وردت في الآية العاشرة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فجاءت أداة رجاء تحمل معنى التحفيز على الذّكر، وتفتح باب الأمل في الفلاح والنجاة.

وقد بين القرطبي أنّ (لعلّ) في هذا الموضع ليست للترجي من الله تعالى، وإنّما هي للإطماع في رحمة الله والتحفيز على الطاعة[1].

وبذلك يتّضح أنّ ورود الحروف الناسخة في (سورة الجمعة)، على قلة عددها كان محوريًا في توجيه الخطاب القرآني، وترسيخ مقاصده الكبرى، من بيان بُطلان الادّعاءات الباطلة، وتقرير حتمية الموت، والدعوة إلى الفلاح بذكر الله.

كما أسهمت هذه الحروف في إضفاء إيقاع بلاغي قوي على السّورة، اتّسم بالمباشرة والحركة والدعوة إلى التزكية والانضباط، ما يجعل (سورة الجمعة) نموذجًا دقيقًا لوظائف الحروف الناسخة في البيان القرآني.

وقد أبرز هذا المبحث أنّ النّواسخ الحرفية، وعلى رأسها (إنّ وأخواتها) تُؤدّي دورًا فاعلًا في بناء المعنى القرآني، إذ تمنح الجملة الاسمية طاقة تعبيرية عالية دون أن تغيّر بنيتها الأساسية، وتستخدم لتوكيد الحكم أو قصره أو دفع المتلقي نحو إدراكه، ما يجعلها أدوات بلاغية دقيقة تُسهم في ترسيخ الحقائق الإيمانية وتوجيه الخطاب.

وقد أظهر الاستقراء أنّ (سورة الأعلى) رغم قصرها وطابعها المكّي، تُجسّد حضورًا دلاليًا بالغًا للحروف الناسخة، حيث وردت في موضعين اثنين فقط، لكنّهما حملا من التوكيد العقدي ما يُوازي السور الطوال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ، وقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ﴾، وتُظهر هذه المواضع المحدودة كيف أنّ الحروف النّاسخة، رغم قلتها العددية، تُؤدّي دورًا بنيويًا بالغ الأثر

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 96/18.

في تثبيت الحقائق الإيمانية، بما ينسجم مع طبيعة السّور المكيّة التي تُركّز على بناء العقيدة وتثبيت اليقين.

ومن الملاحظات اللافتة في هذا المبحث غياب الحروف المشبهة بـــ (ليس) عن المواضع المدروسة، وهو ما يُشير إلى أنّ الخطاب القرآني في هذه السّياقات لم يتّجه إلى نفي الحُكم، بل ركّز على إثباته وتوكيده، ما يعكس انسجام البنية النّحوية مع المقاصد العقدية والبلاغية للنّص.

وتُوصي الدراسة بضرورة إعادة النّظر في دراسة النّواسخ الحرفية ضمن المناهج النّحوية والبلاغية، بحيث تُفهم بوصفها أدوات دلالية تُسهم في بناء الخطاب وتكثيف المعنى، لا مُجرّد عناصر تركيبية، مما يُسهم في الكشف عن أبعاد جديدة لفهم النّص القرآني وتذوّق بلاغته.

ويتّضح من خلال فصل العلاقات الإسنادية في البنية الاسمية أنّ البنية الاسمية في الخطاب القرآني تتّسم بمرونة تركيبية منفردة، تجعلها أداة فاعلة في بناء المعنى وتكثيف الدّلالة لا مُجرّد قالب نحوي جامد.

وقد كشفت دراسة أدوات التحويل من أفعال وحروف ناسخة عن دورها الحيوي في توجيه الخطاب وتثبيت الحقائق الإيمانية، بينما يكشف غيابها في بعض السّور عن توجه بلاغي نحو الإثبات والتقرير المباشر، بما يعكس دقة التوظيف القرآني وانسجامه مع المقصد العقدي والبلاغي.

ومن هنا تُوصي الدراسة بإجراء دراسات مقارنة بين النواسخ الفعلية والحرفية لرصد الفروق البلاغية بينهما، إلى جانب تحليل أثر حذف المبتدأ والخبر في السّياق القرآني، واستجلاء وظائفه التعبيرية، بما يسهم في تعميق فهم البنية النّحوية بوصفها مكوّنًا دلاليًّا وتربويًّا في النّص القرآني.

الفصل الثاني
العلاقات الإسنادية في الجملة الفعلية

توطئة

المبحث الأوّل- مكوّنات الجملة الفعلية.

المبحث الثاني- أثر التحوّلات التّركيبية في البنية الفعلية.

توطئة:

يُعدّ التّركيب الفعلي في اللغة العربية من أكثر التّراكيب شيوعًا وثراءً من حيث البنية والدّلالة، إذ يقوم على علاقة إسنادية محورية تربط بين الفعل والفاعل ومكمّلاته، وتشكّل هذه العلاقة نواة الجملة التي تتفرّع عنها أنماط لغوية تُعبّر عن الزمن، وتُسهم في بناء المعنى داخل السّياق.

وغالبًا ما تبدأ الجملة الفعلية بفعل يدلّ على حدث يُسند إلى فاعل ظاهر أو مستتر، وتلحقه مكمّلات تُضفي على المعنى مزيدًا من التحديد والوضوح، وتنقسم الأفعال من حيث علاقتها بالمفعول به إلى أفعال لازمة تكتفي بالفاعل، وأخرى متعدية تحتاج إلى مفعول به أو أكثر.

كما قد تأتي الأفعال بصيغة المبني للمجهول، مما يُؤثّر في ترتيب الجملة الفعلية من حيث البنية، بين جمل مبنية لا يتغير إعراب أواخر كلماتها، وجمل معربة يظهر فيها أثر الإعراب بوضوح.

ويركّز هذا الفصل على معالجة تحوّلات التّراكيب في الجملة الفعلية، سواء من خلال تقديم بعض العناصر وتأخيرها، أو من خلال الذّكر والحذف، إذ تُعيد هذه التحوّلات تشكيل العلاقة الإسنادية، وتضفي بعدًا تعبيريًّا وبلاغيًّا يعكس مقصد الخطاب.

وفي ضوء ما سبق، يتناول هذا المبحث مكونات الجملة الفعلية في أصل بنائها، من حيث طبيعة الفعل: لازمًا أو متعديًا، معلومًا أو مبنيًا للمجهول، ثم حال الجملة من حيث الإثبات أو النفي، تمهيدًا لتحليل الظواهر التحويلية التي تُعيد تشكيل العلاقة الإسنادية في المباحث التالية.

المبحث الأوّل
مكوّنات الجملة الفعلية

أوّلًا – التعريف بالأفعال

1- الفعل اللازم والمتعدي

2- الفعل المبني للمجهول

ثانيًا – الجملة الفعلية المثبتة والمنفيّة

1- الجملة الفعلية المثبتة

2- الجملة الفعلية المنفيّة

توطئة:

بعد أنّ تمّ التمهيد لمكونات الجملة الفعلية في سـياق الحديث عن العلاقات الإسنادية، يفصّل هذا المبحث العناصر الأساسية التي تُشكّل بنية الجملة الفعلية، من خلال تصنيف الأفعال بحسب علاقتها بالمفعول به، وتحليل الجملة من حيث الإثبات والنفي، بما يُمهّد لتحليل ظاهرتي التّقديم والتأخير والذّكر والحذف في المبحث الثاني.

أوّلًا – الأفعال:

الفعل لغةً:

مأخوذ من (فَعَل) الشـيء أي أوجده أو أحدثه، ويُطلق على الحدث أو العمل الذي يقع في زمن معين[1].

الفعل اصطلاحًا:

" الفعل ما دلّ على اقتران حدث بزمان"[2].

أي الكلمة التي تدل على حدث مقترن بزمن، ويُقسّم بحسب حاجته إلى مفعول به، أو بحسب بنيته إلى أنواع متعددة:

1- الفعل اللازم والمتعدي:

- **الفعل اللازم:** هو الفعل الذي يكتفى بالفاعل ولا يتعدى إلى مفعول به[3].

مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 24].

فالفعل (جاء) لازم، أُسند إلى (ربك) دون مفعول به.

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (فعل) : 528/11.

(2) المفصّل في صنعة الإعراب: 319/1.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النّحو والصرف: 134/1.

- **الفعل المتعدي:** "هو ما تعدى الفاعل إلى المفعول به ، لتوقّف المعنى على وجوده"[1]، مثل قوله تعالى:
- ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء، من الآية: 2].
- فالفعل (آتينا) متعدٍ، تعدّى إلى مفعولين هما: (موسى، الكتاب).

2-الفعل المبني للمجهول:

"هو ما استغني عن فاعله، فأُقيم المفعول مقامه"[2].

وإذا حذف الفاعل وجب رفع المفعول وإقامته مقام الفاعل.

أي أنّ الفعل الذي يحذف فاعله، ويُسند إلى ما بعده كنائب فاعل، ويُستخدم لأغراض بلاغية مثل إخفاء الفاعل أو التركيز على الحدث.

نحو قوله تعالى:

﴿قُضيَ الأمرُ﴾ [هود: 44].

فالفعل (قُضيَ) مبني للمجهول، ونائب الفاعل (الأمرُ).

ويقع حذف الفاعل لأسباب منها:

العلم به ، الجهل به، الخوف منه أو عليه[3].

ثانيًا – الجملة الفعلية المؤكّدة والمنفيّة:

1- الجملة الفعلية المؤكّدة (المثبتة):

هي التي تثبت وقوع الحدث، وتُعبّر عن فعل تمّ أو يتم دون نفي أو شك، وتُفيد تقريرًا أو توكيدًا لمعنى قائم.

وهي تُعدّ من أبنية الجملة الأساسية في اللغة العربية، حيث تبدأ بالفعل وتُسند إلى فاعل، وقد يُذكر معها مفعول به أو مكمّلات أخرى بحسب السّياق، وقد ناقش

---

(1) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النّحو الصرف 134/1.

(2) شرح المفصّل: 4/ 306.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النّحو الصرف: 86/1.

سـيبويه هذا البناء؛ حيث بيّن أنّ الجملة الفعلية هي ما يُبنى على الفعل ويُسـند إليه فاعل، وتُعدّ أساس البنية الإسنادية في العربية[1].

ومن أمثلة الجملة الفعلية المثبتة في القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1]

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة، من الآية: 1]

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة، من الآية : 190].

كلها جمل فعلية مُثبتة تُظهر وقوع الفعل وتُقرّر حقيقة دينيّة أو أمرًا شـرعيًا.

وقد أشـار النّحاة إلى أنّ الجملة المثبتة هي التي لم تدخلها أداة نفي، وتُفيد تقريرًا لوقوع الفعل[2].

2- الجملة الفعلية المنفيّة:

وهي التي دخلت عليها أداة نفي، فحوّلت معناها من الإيجاب إلى السّلب.

أي من إثبات وقوع الفعل إلى إنكاره، وتختلف أدوات النفي بحسب زمن الفعل وسياق الجملة، ومن أبرزها:

(ما، لا، لم، لن، ليس).

ولكل منها أثر على الجملة الفعلية، وقد يقع النّفي على الفعل أو الفاعل، ويُغيّر دلالة الجملة جذريًّا[3].

ومن أمثلة الجملة الفعلية المنفيّة في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 3].

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ [النساء، من الآية: 148].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد، من الآية: 21].

---

(1) ينظر: الكتاب، باب الجملة الفعلية: 33/1.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز: 130/1.

(3) ينظر: المصدر السابق: 126/1.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة، من الآية: 1].

وقد أشـــار النّحاة إلى أنّ النّفي يقلب معنى الجملة من الإيجاب إلى الســلب، ويُعيد تشكيل العلاقة الإسنادية[1].

أما من الناحية البلاغية، فقد تناول (عبد القاهر الجرجاني) أثر النفي والإثبات في تقوية المعنى، حيث يُفيد الإثبات التوكيد والتقرير، ويُســـتخدم النفي لرفع ما قد يتوهّم وقوعه[2].

ويُحقق التنويع بين النّفي والإثبـات في النّص القرآني تقـابلًا بلاغيًّـا يُقوّي المعنى، ويُبرز وظيفة الجملة الفعلية في التعبير عن الواقع والمقصد الشرعي.

ويرى الباحث أنّه من خلال تحليل الجملة الفعلية المثبتة والمنفيّة، يتّضـــح أنّ البنية الإسنادية في اللغة العربية ليست مجرّد ترتيب نحوي جامد، بل هي بناء دلالي وبلاغي يتفاعل مع السّياق، ويُعبّر عن المعنى المقصود بدقّة ومرونة.

فالإثبات يُفيد التقرير والتوكيد، والنّفي يُســـتخدم لرفع التوهّم أو إنكار الوقوع، وكلاهما يُسهم في تشكيل المعنى وتوجيهه.

يتّضـــح من خلال هذا المبحث أنّ الفعل يُشـــكّل محور الجملة الفعلية، وأنّ علاقته بالفاعل والمفعول تُحدّد طبيعة الإسناد داخل التّركيب اللغوي.

وقد أظهرت التقســـيمات النّحوية للفعل – من حيث كونه لازمًا أو متعديًا، معلومًا أو مبنيًا للمجهول – أنّ هذه الأنواع تُســـهم في تنوّع البنية الإســـنادية وتُنتج صورًا تركيبيةً متعددةً تُعبّر عن المعنى بدرجات مُتفاوتة من التحديد والوضوح.

كمـا أنّ التّمييز بين الجملـة الفعليـة المؤكّدة والمنفيّـة يُبرز أثر أدوات النفي والإثبات في توجيه المعنى، ويُظهر كيف تتفاعل عناصـر الجملة لتنتج دلالة متكاملة داخل السّياق.

---

(1) ينظر: شرح المفصل: 411/1، ينظر: معاني النّحو: 189/4.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز: 124/1.

ويُمهّد هذا العرض البنائي إلى دراســـة التحوّلات التّركيبية التي تطرأ على الجملة الفعلية، مثل التّقديم والتأخير، والذّكر والحذف، وهي ظواهر تُعيد تشـــكيل العلاقة الإسنادية، وتُضفي على النّص بُعدًا بلاغيًّا وتعبيريًّا يتجاوز البنية النّحوية إلى مقصد الخطاب.

المبحث الثاني:
أثر التحوّلات التّركيبية في البنية الفعلية

أوّلًا- التّقديم والتّأخير في الجملة الفعلية

1- مفهوم التّقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا

2- أنواع التّقديم في الجملة الفعلية

3- الأغراض البلاغية التي يحققها التّقديم

4- آراء النّحاة والبلاغيين

5- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

ثانيًا- الذّكر والحذف في الجملة الفعلية

1- مفهوم الذّكر والحذف

2- أنواع الحذف

3- أغراض الحذف

4- آراء النّحاة والبلاغيين

5- دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

توطئة:

تُعدّ العلاقة الإسـنادية بين عناصـر الجملة الفعلية من أبرز مظاهر التركيب في اللغة العربية، حيث يُبنى المعنى على أسـاس من التفاعل بين الفعل وفاعله ومفعوله، وما يطرأ على هذه العلاقة من تحوّلات تركيبية تُحدث أثرًا بلاغيًّا ودلاليًّا بالغًا.

ومن بين هذه التحوّلات ما يُعرف بالتّقديم والتأخير، والذّكر والحذف، وهي ظواهر لغوية تُعيد تشكيل الجملة بما يتناسب مع مقتضى الحال، ويُضفي على النّص طابعًا فنيًّا وتعبيريًّا خاصًّا.

ويُبرز هذا المبحث كيف تؤثّر هذه التحوّلات في بنية الجملة الفعلية من خلال تقديم أو حذف أحد العناصر الإسنادية، ما يُغيّر مركز الثّقل في الجملة، ويُعيد توزيع الأهمية بين أطرافها.

كما يُسلّط الضوء على الأثر البلاغي الناتج عن هذه التحوّلات، مثل: القصر، والتخصـيص، والتشـويق، والتعظيم، وغيرها من الوظائف التي تُثري النّص القرآني وتُعمّق دلالته.

وينقسم هذا المبحث إلى مطلبين رئيسين:

- المطلب الأول: التّقديم والتأخير في الجملة الفعلية.
- المطلب الثاني: الذّكر والحذف في الجملة الفعلية.

أوّلًا- التّقديم والتّأخير في الجملة الفعلية:

يُعدّ التّقديم والتأخير من أبرز التحوّلات التّركيبية التي تُؤثّر في بنية الجملة الفعلية في اللغة العربية، وهو تغيير في ترتيب عناصر الجملة عن الأصل التّركيبي لأغراض نحوية وبلاغية تناسب المقام والسّياق.

وهي من صور التحوّل الإسنادي التي تُعيد ترتيب العلاقة بين عناصر الجملة، لا سيّما بين الفاعل والمفعول، فتغيّر مركز الإسناد وتُبرز موضع العناية في الخطاب.

وقد تناول النّحاة هذه الظاهرة من زاوية تركيبية فبيّنوا أنّ التّقديم قد يكون واجبًا أو جائزًا أو ممتنعًا، بحسب موقع العنصر في الجملة ونوعه، وارتباطه بالضمائر أو الأسماء الظاهرة.

أمّا البلاغيون، فقد نظروا إلى التّقديم والتأخير بوصفه وسيلة فنيّة تُستخدم لإبراز المعنى، وتحقيق أغراض بلاغية دقيقة مثل، القصر، والتخصيص، والتشويق، والتعظيم، ومراعاة السّياق الصّوتي والمقامي.

ويُشكّل التّقديم والتأخير في البنية الفعلية مجالًا خصبًا للدراسة؛ إذ يُظهر كيف يُعاد ترتيب الفعل والفاعل والمفعول به، لأغراض نحوية أو بلاغية أو دلالية.

ما يُؤثر في بنية الجملة وعلاقاتها الإسنادية دون أن يُخلّ ذلك بالوظيفة الإعرابية أو المعنى.

1- مفهوم التّقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا:

التّقديم لغةً من الجذر (ق د م)، ويعني السّبق أو الإتيان بشيء قبل غيره، والتأخير هو إرجاؤه إلى الخلف.

قال ابن منظور:

قدّم الشيء: جعله أمام غيره والتّقديم ضدّ التأخير[1].

أما التأخير، من أخَّرَ الشيء: أي جعله في موضع متأخّر[2].

وعرف التّقديم والتأخير اصطلاحًا بأنّه:

تغيير في ترتيب عناصر الجملة عن الأصل؛ لأغراض نحوية أو بلاغية[3].

ويعرّفه العلماء بأنّه:

تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقّه التّقديم، بحسب مُقتضى المعنى أو السّياق.

أو "إخراج الكلام عن الأصل الذي وضع عليه إلى غيره، لغرضٍ يقتضيه السّياق"[4].

2- أنواع التّقديم في الجملة الفعلية:

أشار سيبويه (ت 180 هـ) إلى نوعين رئيسين من التّقديم في الجملة الفعلية:

- تقديم في الرُتبة دون الحكم، كما في تقديم المفعول به على الفاعل مع بقاء الحكم للفعل على الفاعل.
- تقديم في الرتبة والحكم معًا، كما في باب الاشتغال، حيث يتقدم الاسم ويُشغل عنه بالفعل[5].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (قدم) .

(2) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (أخّر) .

(3) ينظر: معاني النّحو: 105/3.

(4) ينظر: البلاغة العربية، الميداني: 350/1.

(5) ينظر: الكتاب: 80/1..

- ومن أبرز صور التّقديم في الجملة الفعلية، تقديم المفعول به على الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، حيث قدم المفعول به (إِيَّاكَ) على الفعل (نَعْبُدُ)، وهو تقديم يفيد القصر، أي لا نعبد إلا إيّاك.

وقد أشار الجرجاني (ت 471هـ) إلى أنّ التّقديم هنا يُبرز موضع العناية في الخطاب، ويُعيد تشكيل العلاقة الإسنادية بما يُناسب المقام[1].

ومن صور التّقديم أيضًا، تقديم المفعول به على الفاعل وهو ما قد يكون واجبًا، إذا كان المفعول به ضميرًا متّصلًا بالفعل، والفاعل اسمًا ظاهرًا، كما في قولنا:

أكرمني زيد، إذ لا يصحّ أنّ يُقال زيد أكرمني؛ لأنّ الضمير يجب أن يتقدّم على الفاعل الاسم الظاهر لتجنب اللبس.

وقد بيّن النّحاة أنّ هذا النوع من التّقديم يُعدّ واجبًا نحويًا لا بلاغيًا[2].

كذلك يُستخدم تقديم الجار والمجرور أو الظرف على الفعل أو الفاعل لأغراض بلاغية منها التشويق أو إبراز جهة الحدث، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد، من الآية: 5].

حيث قدم الجار والمجرور (إِلَى اللَّهِ) على الفعل (تُرْجَعُ)، ما يُبرز جهة الرجوع ويُخصّصها، وهو ما أشار إليه (الجرجاني) ضمن حديثه عن ترتيب الكلام بحسب مواضع العناية[3].

3- الأغراض البلاغية التي يحققها التّقديم:

أغراض التّقديم متعددة، منها:

---

(1) ينظر: دلائل الإعجاز: 142/1.

(2) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 265/1.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: 142/1.

- **القصر والتخصيص:**

كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

حيث يُفيد التّقديم حصر العبادة في المخاطب.

- **التشويق وإثارة الذهن:**

بتقديم ما يُثير انتباه الســـامع، كما في قوله تعالى:﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد، من الآية: 5].

- **تعجيل المسرة أو المساءة:**

بتقديم ما يُفرح أو يُحزن المخاطب، مثل قولنا:

نجحتْ العملية، وهو تقديم للفعل على الفاعل.

- **التعظيم والتهويل:**

بتقديم العنصر الذي يُراد إبراز مكانته، كما في قولنا:

الله يشفي عباده، الزلزالُ ضربَ المدينة.

- **مراعاة السجع أو الوزن في القرآن والشعر:**

يُقدّم العنصر لتحقيق التوازن الصّوتي، كما في قوله تعالى:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: 30- 31].

- **تقوية الحكم وتقريره:**

بتقديم العنصر الذي يُراد تثبيته في ذهن السامع[1]، نحو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 60].

وقد ذكر (عبد القاهر الجرجاني) أنّ التّقديم والتأخير:

"باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية "[2].

---

(1) ينظر: البلاغة العربية: 362/1، ينظر: معاني النحو: 105/3.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز: 134/1.

ومن أبرز أغراضـــه في الجملة الفعلية، التوكيد، والتخصـــيص، والتشـــويق والاتّساق السّياقي.

4-آراء النّحاة والبلاغيين:

تناول النّحاة والبلاغيون مسـألة (التّقديم والتأخير) بوصـفها من أبرز مظاهر التعبير في اللغة العربية، حيث تســـتخدم لتوجيه المعنى وتحقيق أغراض بلاغية كالحصر والتخصيص والتشويق.

ويُعدّ سيبويه أول من أسس قواعد هذه الظاهرة، حيث ناقش تقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل مؤكّدًا أنّ الترتيب ليس جامدًا، بل يخضـــع للمعنى والسّياق[1].

أما ابن جني فقد عمّق هذا المفهوم في كتابيه الخصائص، واللمع في العربية، مؤكّدًا أنّ التّقديم والتّأخير من خصـــائص العربية، وأنّ الأصـــل في التّركيب هو ما يحقق الغرض البلاغي لا ما يلتزم الترتيب النّحوي فقط.

وقد وجّه كلام سيبويه بما يُزيل اللبس ويُبرز المقاصد[2].

ثم جاء الجرجاني، البلاغي الكبير ليُعطي التّقديم والتأخير بعدًا بلاغيًا عميقًا، فقال: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التّصرف... "[3].

بهذا الوصـف يُبرز الجرجاني أنّ التّقديم والتأخير ليس مُجرّد تغيير في ترتيب الكلمات، بل هو باب بلاغي واســـع يُســـهم في بناء المعنى وتوجيهه، ويُعدّ من أهم أدوات النّظم التي تُحدث الفرق في الدّلالة.

---

(1) ينظر: الكتاب: 80/1.

(2) ينظر: الخصائص: 384/2، ينظر: اللمع في العربية: 31/1.

(3) دلائل الإعجاز: 142/1.

ويرى الدكتور تمام حسّـان أنّ التّقديم والتأخير يُحدث تحوّلًا في البنية النّحوية، ويُغيّر الوظيفة الدلالية، ما يُسهم في توجيه المعنى بحسب المقام[1].

وهكذا يتّضــح أنّ التّقديم والتأخير في اللغة العربية يجمع بين النّحو والبلاغة، ويُعدّ من الوسائل التعبيرية التي تمنح اللغة مرونةً وجمالًا.

ويميل الباحث إلى رأي ابن جني إذ يرى أنّ التّقديم والتأخير في الجملة الفعلية ليس مُجرّد تغيير شكلي، بل هو اختيار نحوي دلالي يُسهم في تقديم العنصر الأهم، ويُظهر مرونة اللغة العربية في التعبير، ويخضع للسياق لا للجمود القاعدي.

5-دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

بعد عرض الجانب النظرى لمطلب التّقديم والتأخير، وبيان أبعاده النّحوية والبلاغية، ننتقل إلى مرحلة التطبيق العملي على نماذج مختارة من سور المسبحات.

ويهدف هذا التطبيق إلى تتبع صــور التّقديم في الجملة الفعلية كما وردت في السّياق القرآني، وتحليلها وفق مستويات التّركيب والدّلالة، مع التركيز على أثرها في بناء العلاقات الإسنادية وتوجيه المعنى.

وقد وقع الاختيار على سور المسبّحات لما تتضمّنه من تنوّع في الأساليب الفعلية، وغزارة في التراكيب التي تُجسّد ظاهرة التّقديم، ما يتيح مجالًا واسعًا لاختبار ما تقرّر نظريًا في ضوء النّص القرآني.

ويتجلّى أثر التّقديم في الجملة الفعلية في مواضـــع متعددة من آيات هذه السّور، وتُعدّ الآية: (109) من سورة الإسراء أنموذجًا بلاغيًا فريدًا في تقديم المفعول به، فيقول الله تعالى:

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء، من الآية: 109].

حيث تقدّم المفعول به (أَيًّا) على الفعل (تَدْعُوا) في الجملة الفعلية الشــرطية، وهو تقديم نحوي بلاغي له دلالات متعددة يظهر التّقديم في تركيب (أَيًّا مَا تَدْعُوا) إذ

(1) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 207/1.

إنّ (أَيًّا) اسم شرط منصوب في محل نصب مفعول به مقدم، و(ما) زائدة لتأكيد العموم (تَدْعُوا) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير في محل رفع فاعل، له: جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، (الأسماء) مبتدأ مؤخّر، الحسنى نعت للأسماء[1].

وقد جعل سيبويه (أي) من الأسماء الشرطية الجازمة إذا أضيفت، فتجزم فعل الشرط، ويأتي جوابها مقترنًا بالفاء إذا كان جملة اسمية.

وبناءً على ذلك، يكون فعل الشرط في الآية (تدعوا) ويقع جواب الشرط في الجملة الاسمية (فله الأسماء الحسنى) لوقوعه جملة اسمية تستدعي الفاء الرابطة[2].

وصرفيًّا (أَيًّا) اسم مبني من مادة (أي) ويُستعمل في الشرط والاستفهام والجزاء والوصل، وتُبنى في محل نصب مفعول به، (تدعوا) فعل مضارع من الفعل (دعا) مجزوم وعلامة جزمه حذف النون.

أمّا معجميًّا فقد ورد أنّ مادة (أي) تفيد التعيين والاختيار، وتستخدم في الشرط والاستفهام، وتدل على العموم في السّياق القرآني[3].

وفي التحليل الدلالي قال الطبري:

"بأي اسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم، فإنّما تدعون واحدًا وله الأسماء الحسنى"[4].

وهذا يدلّ على أنّ التّقديم في ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ يُراد به تأكيد أنّ كل اسم من أسماء الله صالح للدعاء، وأنّه لا فرق بين دعائه باسم (الله) أو (الرحمن)، فكلها تعود إلى الذات الواحدة.

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 133/8.

(2) ينظر: الكتاب: 398/2.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (أي) : 57/14.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 17 /580.

وبلاغيًّا، تقديم (أيًّا) على (تدعوا) يُفيد الحصـــر، ويُبرز المفعول به، وهو أسلوب شائع في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ إيّاك نعبد وإياك نستعين ﴾

وقد أشار (الزمخشري) إلى أنّ هذا الأسلوب يفيد التخصيص والتوكيد، ويُبرز المعنى المقصود من الدعاء[1].

والتّقديم هنا يُفيد العموم، ويُبرز أنّ كل اسم من أسماء الله يتضمّن صفات الكمال، وأنّ الدعاء بأي منها دعاء الله ذاته[2].

ويرى الباحث أنّ هذا التّقديم للمفعول به في الجملة الفعلية يُعد من الأساليب البلاغية التي تخدم المعنى وتُعزّزه، وقد أشار النّحاة إلى جواز التّقديم ومنهم (سيبويه) الذي ذكر أنّ تقديم المفعول به على الفعل جائز إذا كان في ذلك فائدة معنوية، كالحصر أو التعظيم.

أمّا البلاغيون، فقد فصّلوا في أغراض التّقديم، ومنهم (الجرجاني) الذي بيّن أنّ التّقديم والتّأخير ليس مجرد تغيير في ترتيب الكلمات بل هو تغيير في المعنى، وأنّ تقديم ما يُراد تعظيمه أو تخصيصه يُعدّ من دلائل الفصاحة والبلاغة[3].

بمعنى أنّ (أي) كلمة تدلّ على التّعيين بعد الإبهام، وتدخل في الاستفهام والشّرط والموصولية، وتُحدّد دلالتها حسب السّياق والإضافة، وإذا لحقتها (ما) زادت في التوكيد، و(أيًّا) في الآية اسم مُبهم يفيد التخيير بين اسمين، دخلت عليه (ما) للعموم.

ويلاحظ أنّ التّقديم يتكرر في مواضع أخرى من السّور المسبّحات ومنها قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ" [الحشر: 5]

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 700/2.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 235/15.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: 142/1.

حيث قُدّم المفعول به (ما) على الفعل (قَطَعْتُم)، وهي اســـم شـــرط جازم في محل نصب مفعول به مقدّم، (قطعتم) فعل ماضٍ مبني على السكون، والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل، (من لّينَةٍ) جار ومجرور متعلق بحال محذوفة[1].

فالتّقديم جاء لأجل الحصـــر، إذ يُفهم أنّ كل ما قطع من الليّن كان بإذن الله، وهو ما يعزّز شرعية الفعل ويُزيل الشبهة عنه[2].

(قَطَعْتُم)، فعل ماضٍ من الثلاثي (قطع)، المضارع يقطع، والمصدر (قطع)، وهو يدلّ على الإزالة والانفصـــال[3]، ولينة، اســـم مشـــتق من (لين)، وهو نوع من النخل.

وقد ورد، أنّ (الليّنة) هي النخلة الرطبة أو اللينة في الجذع، أما (تركتموها) فالفعل (تَرَكَ) يدلّ على الإبقاء، والمضـــارع (يترك) والمصـــدر (تَرْك)، وقائمة، اســـم فاعل من (قام)، يدلّ على الثبات والاستمرار.

ومعجميًّا، الليّنة وردت في اللغة بمعنى الرطبة، وهي من أنواع النخل التي تُعرف بجودة ثمارها[4]، وأصولها جمع (أصل) وهو ما يُبني عليه الشيء ويُستند إليه.

والفاسقين من (فسق) أي خرج عن الطاعة، وقد ورد أنّ (الفسق) هو الخروج عن الأمر الشرعي[5].

أمّا دلاليًا، فالتّقديم في (ما قطعتم) يُفيد الحصـــر، أي أنّ كل ما وقع من قطع أو ترك كان بإذن الله، ما يُزيل الشبهة عن الفعل ويعزّز مشروعيته[6].

---

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 451/11.

(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 500/4.

(3) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 195/14.

(4) ينظر: لسان العرب، مادة (لين) .

(5) ينظر: المصدر السابق، مادة (فسق) .

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 512/22.

وقد أشار ابن هشام (ت 761هـ)، إلى أنّ (التّقديم والتأخير) ليس مُجرّد تغيير شكلي، بل هو اختيار نحوي دلالي يُستخدم لأغراض بلاغية مثل الحصر، والاهتمام، ويُسهم في إبراز العنصر الأهم في السّياق، ويخضع لمقتضى الحال[1].

ويرى الباحث أنّ التّقديم في هذه الآية وُظّف لأغراض شرعية، إذ يُراد به تأكيد أنّ ما فعله المسلمون من قطع أو إبقاء للنخل كان بأمر إلهي، لا عن هوى أو انتقام، وهو ما يعزّز من شـــرعية الفعل ويُزيل الشّـــبهة عنه، ويُظهر أنّ التّقديم في النّظم القرآني ليس مُجرّد ترتيب لفظي، بل هو بناء دلالي يخدم المقصد التّشريعي، كما في قوله تعالى ﴿فبإذن الله﴾، الذي جاء بعد بيان الفعل، ليُظهر أنّ الإذن الإلهي هو الأصل في كل تصرّف.

ويأتي تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6].

(ما) اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدّم للفعل (أَفَاءَ)، و(أَفَاءَ) فعل ماضٍ مبني، (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع، (عَلَىٰ رَسُولِهِ)، جار ومجرور متعلق بالفعل، والهاء ضمير متّصل في محل جر بالإضافة، (منهم) جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة من (ما)، والتقدير: أي شيء أرجعه الله على رسوله حالة كونه منهم، أي من أموال الكافرين اليهود.

(فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ)، الجملة الفعلية جواب شـــرط في محل جزم، (أَوْجَفْتُمْ) ، فعل ماضٍ مبني، والتاء ضـــمير رفع مُتحرك في محل رفع فاعل، (عليه) جار

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 2/103- 109 بتصرّف.

ومجرور متعلّق بالفعل (أَوْجَفْتُمْ)، (مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة للضمير في (عليه) [1].

و(أَفَاءَ)، فعل رباعي من (فَاءَ) ، والمضارع (يفيء) ، والمصدر (فيء) يدلّ على الرجوع ، (أوجف) يدلّ على الإسراع، (رِكَابٍ) جمع (ركوبة) على وزن (فِعال)، ويُسلّط من (سلط) يدلّ على التمكين.

وقد ورد أنّ (الفيء) هو ما رجع من مال الكفّار إلى المسلمين دون حرب، خلافًا للغنيمة التي تُؤخذ بعد قتال، و(الركاب) ما يركب من الإبل ونحوها[2].

ودلاليًّا، التّقديم في (ما أفاء الله) يُفيد التخصيص، أي أنّ

ما أعطي النبي – صلى الله عليه وسلم – من الفيء هو من عند الله، لا من جهد بشري، ما يعزّز من شرعية التصرّف فيه، وقد أشار (الجرجاني): إلى أنّ التّقديم يُشعر بالاختصاص الإلهي، ويُعلي من شأن الفعل المنسوب إلى الله تعالى[3].

كما أكّد (الزمخشري) أنّ التّقديم يفيد الاهتمام بالمقدّم، وهو من أساليب الحصر البلاغي[4].

في كلتا الآيتين، وقع تقديم للمفعول به (ما) على الفعل والفاعل داخل الجملة الفعلية، وهو ما يظهر نمطًا نحويًا متكرّرًا يُوظّف لأغراض دلالية وتشريعية.

ففي الآية الخامسة من (سورة الحشر)، جاء التّقديم لأجل الحصر، وفي الآية السادسة لأجل التخصيص، ما يُبرز براعة النّظم القرآني في توظيف التّقديم لخدمة المعنى.

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 195/14.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (فيء) ، (ركب) .

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: 134/1.

(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 502/4.

ويميل الباحث إلى رأي (الجرجاني) في أنّ التّقديم يُشعر بالاختصاص، وهو ما تؤكّده بنية الآيتين، حيث تبدأ كل منهما بالمفعول به (ما)، قبل أن يُبيّن السّياق التشريعي الذي يُزيل الشّبهة ويُرسّخ المشروعية.

ويتّضح من السّياق المتتابع للآيات في (سورة الحشر)، بدءًا من الآية الخامسة إلى السابعة، أنّ هناك بناءً تدريجيًا في المعنى، ينتقل من توصيف الفعل العسكري في قطع النخل (آية: 5)، إلى بيان ملكية الفيء وتوزيعه (آية: 6)، ثم تأسيس المرجعية النبوية (آية: 7).

هذا التّدرّج ليس عشوائيًا، بل هو بناء مُحكم يربط بين الفعل السّياسي والاقتصادي والتّشريعي، ويُؤسّس لمفهوم الطاعة النبوية بوصفها امتدادًا للسلطة الإلهية في الأرض.

ويظهر التّقديم في الآية السابعة في قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

حيث قُدّم المفعول به (ما) على (آتَاكُمُ) والفاعل (الرَّسُولُ)، ومن الناحية النّحوية، فإنّ (ما) اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدّم، و(آتَاكُمُ) فعل ماضٍ، والضمير (كم) في محل نصب مفعول به، والرسول، فاعل مرفوع، والجملة الفعلية (فَخُذُوهُ) جواب الشرط، (الفاء) رابطة لجواب الشرط، (خُذُوهُ) فعل أمر مبني والواو ضمير متّصل في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متّصل في محل نصب مفعول به، (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) معطوفه على (ما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) وتعرب إعرابها[1].

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 455/11.

ويقول النّحاة أنّ التّقديم وخاصـــة تقديم المفعول به يُفيد الاهتمام بالمقدّم وتخصـــيصـــه بالذّكر، ويُدرس (التّقديم والتّأخير) عند بعض النّحويين بعنوان (الرُّتبة)[1].

أمّا من الناحية المعجمية، فإنّ مادة (آتى) تُفيد الإتيان بالشيء، وقد وردت في القرآن بمعنى الإعطاء والتبليغ[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَـى الكِتَابَ﴾ ، ما يدلّ على أنّ (ما آتَاكُمُ) يشمل كل ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم– من تشريع وأمر ونهي، وليس فقط ما أعطي ماديًّا.

وهذا الاتّسـاع في الدّلالة يعضـده السّـياق الذي يتحدث عن الفيء، ثم ينتقل إلى الأمر والنهي، ما يجعل (ما آتَاكُمُ) شاملًا لكل ما يصدُر عن الرسول – صلي الله عليه وسلم– من جهة التشريع.

أمّا دلاليًّا، فإنّ التّقديم هنا يُبرز أهمية مضمون العطاء أي (ما آتَاكُمُ)، ويجعله مركز الاهتمام، ما يُرسّـخ فكرة أنّ المرجعيّة هي في المحتوى النّبوي، لا في شـخص النبي –صلي الله عليه وسلم– فقط، وقد أشار المفسّرون إلى أنّ التّقديم يُفيد التّعظيم والتّشريف للمُقدّم[3].

وبلاغيًّا، فإن التكرار في (ما آتاكم... ومانهاكم...) يُعدّ من أسـاليب التوكيد، ويُعطي للآية طابعًا تشريعيًا صارمًا، يشبه أسلوب القوانين، ما يُرسّخ وجوب الطاعة والانتهاء، كما أنّ استخدام (الفاء) في (فخذوه) ، (فانتهوا) يُفيد السببية، أي أنّ الأخذ والانتهاء نتيجة مباشرة لما جاء به الرسول – صلي الله عليه وسلم–[4].

---

(1) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 207/1.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (آتي) .

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 515/22.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 81/28.

ويرى الباحث، أنّ التّقديم في الآية السابعة ليس مُجرّد أسلوب بلاغي، بل هو تأسيس لمبدأ تشريعي يُربط فيه بين الفيء كمورد اقتصادي وبين الطّاعة النبوية كمصدر تشريعي، ما يجعل الآية حلقة وصل بين الآيات السابقة من (سورة الحشر).

يتّضح من تأمّل الآيات المذكورة أنّ بينها ترابطًا دقيقًا في البناء القرآنى، يجمع بين التّشريع والتّوجيه، والتّقويم، والبلاغة، ويؤسّس لمنهج قرآني متكامل في التّعامل مع الواقع والنّص.

وتبدأ هذه السلسلة بالآية (109) من (سورة الإسراء)، ثم تنتقل إلى آيات (سورة الحشر)، فتتدرّج من الفعل العسكري إلى التشريع النّبوي، ما يجعلها وحدة موضوعية متماسكة ذات بنية لُغوية وبلاغية مُتقنة.

ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ يظهر التّقديم في (ما قَطَعْتُم)، حيث قدم (مَا) على الفعل (قطع) وهو تقديم يُفيد التعميم ويُعطي للفعل العسكري شرعية إلهية.

فهذا التّقديم يُبرز أنّ القطع أو التّرك ليسا فعلين مستقلين، بل هما بإذن الله، ما يُرسّخ فكرة أنّ السّلطة في الإسلام ليست مطلقة، بل مقيّدة بالوحي.

ثم تأتي الآية السابعة ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ويظهر التّقديم في (ما آتاكم) و (ما نهاكم) حين قدّم المفعول به على الفعل والفاعل، وهو تقديم يُفيد التخصيص ويُرسّخ أنّ المرجعية في التشريع هي في مضمون ما جاء به الرسول – صلي الله عليه وسلم– لا في شخصه فقط.

وهذا التّقديم يُحوّل الفيء من مورد اقتصادي إلى اختبار في الطّاعة، ويجعل الطاعة النبوية معيارًا للتقوى[1].

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 305/4.

ويرى الباحث، أنّ هذه التّقديمات المتكررة في تركيب الآيات ليســـت مُجرّد أســاليب بلاغيّة، بل هي بناء لغوي يُؤســس لمنهج قرآني، يبدأ بالتدرّج في التّلقي، ثم يُؤسّــس للمرجعية النّبوية، وهذا البناء يُظهر أنّ التّقديم في القرآن ليس عشــوائيًا، بل هو أداة بلاغيّة ونحوية ودلالية تســـتعمل لتوجيه المعنى، وتحديد مركز الاهتمام، وتأسيس المفاهيم، ما يجعل القرآن نصًّا متماسكًا في بنيته، عميقًا في دلالته، مُتدرّجًا في خطابه.

ليتّضح من خلال التحليلات النّحوية والدّلالية والبلاغية للآيات أنّ:

ظاهرة (التّقديم والتأخير) في القرآن الكريم ليست مجرّد أسلوب لغوي، بل هي أداة بنائية تُسهم في تشكيل المعنى وتوجيهه. وتُبرز المقاصد التّشريعية والتربوية في السّياق القرآني، فقد أظهر التّقديم في (ما آتاكم) تخصيصًا وتشريعًا للمقدّم، ما يُبرز مركزية الطّاعة النّبوية والعمل الأخروي في البناء الدلالي للسّــورة، كما أنّ التّقديم في (ما قطعتم) و (ما أفاء الله) يُرسّخ فكرة أنّ الفعل الإلهي هو الأصل، وأنّ ما يصدر عن الإنسان يجب أن يُفهم في ضوء هذا الأصل.

وقد بيّنت الدراسة أنّ (التّقديم والتّأخير) في هذه الآيات يُوظّف لتحقيق وظائف متعددة منها:

التّشـــويق، والتّخصـــيص، والتّعظيم، ما يجعل هذه الظاهرة من أهم أدوات التعبير القرآني.

كما أنّ الربط بين الآيات يظهر أنّ التّقديم ليس ظاهرة معزولة، بل هو جزء من بنية متكاملة يتفاعل فيها النّحو مع البلاغة، والدّلالة مع السّياق، ما يُبرز عبقريّة النّص القرآني في توظيف اللغة لخدمة المعنى.

ومن خلال تتبع التّقديم في (سورة الحشر)، وهي من المسبّحات يُلاحظ أنّ هذه الظاهرة لم ترد بكثرة في باقي السّور المسبّحات، ما يشير إلى خصوصية بنائية

في (سورة الحشر)، حيث استخدم التّقديم والتّأخير بشكل وظيفي يخدم البناء التّشريعي والتربوي للسورة.

وقد يُعزى هذا التفاوت إلى اختلاف المقاصد الموضوعية. بين السّور، فبعضها يغلب عليه الطّابع التّوحيدي أو التّسبيحي، بينما تجمع (سورة الحشر) بين التّشريع والمحاسبة، ما يفسّر كثافة التّقديم فيها.

وتُعزّز هذه الملاحظة ضرورة إجراء تحليل مقارن لظاهرة التّقديم والتّأخير في سور المسبّحات، للوقوف على مدى تكرارها ووظيفتها البلاغية في كل سورة، وتحديد ما إذا كانت سورة الحشر تمثّل نمطًا خاصًّا في هذا السّياق، وبذلك نختتم المطلب الذي تناول التّقديم والتأخير بوصفه أداة بنائية في التعبير القرآني، لننتقل إلى مطلب تمهيدي آخر يتّصل بظاهرة الذّكر والحذف؛ لما لها من أثر بالغ في تشكيل المعنى وتوجيهه داخل السّياق القرآني.

ثانيًا- الذّكر والحذف في الجملة الفعلية:

توطئة:

تُعدّ ظاهرة الحذف من أبرز التّحوّلات التّركيبية التي تُؤثّر في بنية الجملة الفعلية، إذ يُقصد بها إسقاط أحد عناصرها – الفعل أو الفاعل أو المفعول به – مع بقاء المعنى مستفادًا من السّياق، ويقابل الحذف الذّكر، أي التّصريح بالعنصر المحذوف في مواضع أخرى.

وقد عُني النّحاة والبلاغيون بهذه الظّاهرة وعدّوها من وسائل الإيجاز، التي تُظهر مرونة التّركيب العربي دون أنّ تُخلّ بالوظيفة الإعرابية أو الدلالية للجملة.

1- مفهوم الذّكر والحذف

الذكر لغةً:

هو الإبراز والتصريح، ومنه قولهم ذكرت الشيء: أي أبرزته[1].

الحذف لغةً:

الإسقاط أو القطع والإزالة، وقد ورد حَذَفَ الشيء، أي أزاله[2].

الحذف إصطلاحًا:

يصف ابن يعيش الحذف بأنّه إسقاط لفظ من التّركيب مع بقاء دلالته مفهومه من السّياق[3].

ويمكن القول بأنّه:

"حذف ما يمكن الاستغناء عنه من الألفاظ لداعٍ يقتضيه"[4].

2-أنواع الحذف:

أشار سيبويه (ت180 هـ)، إلى أنّ الحذف في الجملة الفعلية قد يشمل الفعل أو الفاعل أو المفعول به، بشرط أن يدلّ عليه السّياق بوضوح[5].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (ذكر) .

(2) ينظر: المصدر السابق، مادة (حذف) : 40/9.

(3) ينظر: شرح المفصّل: 418/1.

(4) النّحو الوافي: 56/2.

(5) ينظر: الكتاب: 24/1، 296.

ومن أبرز أنواعه:

1. حذف الفعل:

نحو قوله تعالى: ﴿سُـــبْحَان الَّذِي أَسْـــرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا....﴾ [الإســـراء، من الآية:1]. فسبحان مفعول لفعل محذوف تقديره (أسبّح)[1].

2. حذف الفاعل:

كما في الفعل المبني للمجهول، نحو قوله تعالى:

﴿وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا﴾ [النساء:28].

3. حذف المفعول به:

كما في قوله تعالى: ﴿هو الذي يُحيي ويُميت﴾ [غافر: 68].

حيث حُذف مفعولا (يُحي ويُميت)، اختصـــارًا، والتقدير (يُحي الأموات ويُميت الأحياء)[2].

3-أغراض الحذف:

تناول (عبدالقاهر الجرجاني) الحذف من زاوية بلاغيّة، فعدّه من الأســـاليب المؤثّرة في الإيجاز والتلميح، وتوسـيع المعنى، إذ يكون ترك الذّكر أبلغ من التصـريح به في بعض المقامات، ومن أبرز أغراض الحذف:

- الإيجاز: تقليل الألفاظ مع المحافظة على المعنى.
- التلميح: الإشارة إلى المعنى بغير تصريح مباشر.
- التشويق: دفع القاريء إلى استنتاج المحذوف من السّياق[3].

---

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 237/6.

(2) ينظر: المصدر السابق: 293/10.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: 163/1.

4- آراء النّحاة والبلاغيين:

تباينت مواقف النّحاة في تحديد ضوابط الحذف، فالبصريون كانوا أكثر تقييدًا، فلم يجيزوه إلا بقرينة لفظية أو معنوية، في حين كان الكوفيون أكثر تساهلًا، فأجازوه مادام المعنى يُفهم ولودون قرينة صريحة[1].

وقد عالج سيبويه (ت 180هـ) الظاهرة بوصفها ظاهرة لغوية لها قوانين دقيقة، فقسّم الحذف إلى ما لا يجوز فيه الإضمار، وما يجوز فيه الإظهار والإضمار، وما يُترك فيه الإظهار ويُكتفي بالإضمار[2].

أمّا المبرد (ت 285هـ) فقد أشار إلى الحذف عند حديثه عن (لولا)، مبيّنًا أنّ بنيتها تقتضي حذف الفعل في بعض السّياقات[3].

ثم جاء ابن جني (ت392هـ) فوسّع النّظر في الحذف، وعدّه شاملًا للكلمة والجملة والحرف والحركة، شرط أن يقوم الدليل على المحذوف، كما فرّق بين حذف الفعل مع فاعله، فيؤول إلى حذف جملة كاملة، وبين حذف الفعل وحده[4].

وفي المجال البلاغي، أوضح عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) أنّ الحذف من أرقى أبواب البلاغة، إذ يكون في مواضع كثيرة أبلغ من الذّكر، لأنّه يُثير ذهن السّامع ويُحفّزه على استحضار المعنى من السّياق[5].

ويتّضح من مُجمل آراء النّحاة أنّ الحذف لم يكن خُروجًا عن الأصل، وإنّما هو أسلوب مقصود تفرضه بنية الكلام ومقتضيات السّياق، فقد ذهب البصريون إلى أنّ الحذف ضرب من الإيجاز لا يُلجأ إليه إلا بقرينة تُغني عن المحذوف.

---

(1) ينظر: الكتاب: 25/1.

(2) ينظر: المصدر السابق: 296/1.

(3) ينظر: المقتضب: 77/3.

(4) ينظر: الخصائص: 362/2.

(5) ينظر: دلائل الإعجاز: 146/1.

بينما وسّع الكوفيون دائرته، وعدُّوه من أساليب العرب الشائعة التي لا تحتاج إلى كثرة تقييد، ما دام المعنى قائمًا بدلالة السّياق.

أمّا البلاغيون، فقد أولوا الحذف منزلة عالية، ورأوا فيه بابًا من أبواب الإيجاز الذي هو أحد سمات الإعجاز القرآني، كما صرّح (عبد القاهر الجرجاني) في حديثه عن أسرار الحذف وعدّه أبلغ من الذّكر في مواضع كثيرة، وبالنّظر في هذه الاتجاهات، يرى الباحث أنّ الحذف في الجملة الفعلية يجمع بين الضرورة النّحوية والغاية البلاغية، فهو من جهة يُسهم في تماسك البنية الإسنادية وتخفيفها من التّكرار، ومن جهة أخرى يفتح مجالًا رحبًا للإيحاء والاقتصاد في التعبير.

ومن ثمّ، فإن الحذف ليس مُجرّد حذف لفظ، بل هو فعل دلالي ينهض على العلاقة بين المنطوق والمسكوت عنه، وهو ما يعكس مرونة النّظام اللغوي للعربية وامكاناته الواسعة في البيان.

5-دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

توطئة:

بعد أن استعرضنا في المطلب السّابق التّعريفات النّحوية والبلاغيّة للحذف، وأنواع الحذف وأغراضه، وآراء النّحاة والبلاغيين، يأتي دور الجانب التطبيقي الذي يُظهر كيف تجلّت هذه الظاهرة في النّص القرآني.

وتركّز هذه الدّراسة على السّور المسبحات، لما فيها من تنوّع في البناء الفعلي، ووضوح في مظاهر الحذف، سواء كان حذف الفعل أو الفاعل أو المفعول به.

ومن خلال تحليل آيات مختارة سيتم الوقوف على نوع الحذف في كل آية – فعل أو مفعول به– والدّلالة النّحوية والمعنوية للحذف في السّياق، والأثر البلاغي الذي يتحقق بترك العنصر المحذوف، سواء في الإيجاز أو التلميح أو التشويق.

وملاحظة توافق الحذف مع ضـوابط النّحاة كما أشـار إليها سـيبويه والمبرد، وابن جني، وربطه بما ذكره البلاغيون كالجرجاني في أثر الحذف على بلاغة النّص.

ويهدف هذا الجانب التطبيقي إلى ربط النّظرية بالنّص القرآني المباشـر، وإظهار أنّ الحذف ليس مجرد إسـقاط لفظي، بل هو عنصـر تركيبي متقن يخدم المعنى والسّياق، ويبرز مرونة النظام اللغوي العربي.

ومن الآيات التي يظهر فيها الحذف كظاهرة لغوية ذات دلالات نحوية وبلاغيّة عميقة، قوله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى...﴾ [الإسراء، من الآية: 1].

تبدأ الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ سُـبْحَانَ الَّذِي أَسْـرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ وهي افتتاحية تحمل تعجب وتنزيه، حيث جاء المصدر (سُبْحَان) منصوبًا على أنّه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (أسـبّح) [1]، وهو حذف يُفيد التعظيم ويُراد منه إثارة الانتباه إلى الحدث العظيم الذي سيذكر لاحقًا[2].

(سُبحان) مصدر على وزن (فُعلان) من الفعل (سبَّح)، وهو مصدر لا يشتق منه فعل كما قرّر سيبويه، ويستعمل للتنزيه المطلق، ويُعامل معاملة المبني رغم كونه مصدرا.

أمّا (الذي أسـرى) فالاسـم الموصـول (الذي) في محل جر مضـاف إليه، و(أسـرى) فعل ماضٍ، رباعي مزيد بالهمزة، من مادة (س ر ي)، ويدلّ على السـير ليلًا، فقد ورد: أسرى الرجل إذا سار ليلًا[3].

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 5/8.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 411/14.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (سرى) : 381/14.

ما يدلّ على أنّ الفعل (أســـرى) متعدٍّ، والمفعول به محذوف تقديره (إســـراءً عجيبًا أو إســـراء خارقًا)، وهو حذف بلاغي يُفيد التهويل والتعظيم، ويُترك للذهن أن يتخيّل عظمة الحدث، أما (بعبده) جار ومجرور، والضمير يعود على النبي – صلى الله عليه وسلم – والعبودية هنا أعلى مراتب التّشريف، إذ لم يقل (برسوله) أو (بنبيه)، بل اختار وصف (عبده) للدلالة على كمال الخضوع والطّاعة، فـــ (عبد) اسم مشتق من مادة (ع ب د)، وهي تدل على التذلّل والطّاعة[1].

(ليلًا)، اسـم زمان متعلّق بالفعل (أسـرى)، وهو مُشـتق من (الليل) ويدلّ على وقت السير، ويُؤكّد المعجزة بوقوعها في وقت غير مُعتاد للسفر.

وجاء التحديد المكاني "من المســـجد الحرام إلى المســـجد الأقصـــى"، وهما متعلقان بالفعل (أسـرى)، ويدلّان على انتقال جسـدي ومعنوي من مركز الرّسـالة إلى مركز الأنبياء، ما يحمل دلالة بلاغيّة على عالمية الدّعوة الإســـلامية؛ فأختيرت الأماكن بعناية، لأنّ المسجد الحرام هو موطن الرّسالة، والمسجد الأقصى هو موطن النّبوات السّابقة، ما يربط بين الرسّالة المحمّدية وسائر الرّسالات[2].

أمّا من الناحية البلاغية، فإنّ افتتاح الآية بـــ (سبحان) يُفيد التّعجب والتّنزيه، ويهيئ النّفس لتقبّل أمر خارق، كما أنّ حذف الفعل والفاعل يعزّز عنصـر الإعجاز، ويترك للذهن أن يتخيّل عظمة الحدث.

والتّقديم في (بعبده) على (ليلًا) يُفيد التّشريف، ويُبرز مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم– كما أنّ الانتقال المكاني من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يُوحي بعالمية الرّسالة، ويؤسّس لربط الأمة الإسلامية بالقدس.

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 5/8.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 411/14.

أما لفظ (التسبيح) فيعني تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، وهو ما يتفق مع افتتاح الآية، حيث جاء التنزيه قبل ذكر الفعل، ما يدلّ على أنّ الحدث لا ينسب إلا لمن يُنزّه عن كل نقص، أمّا الإسراء فيعنى السّير ليلًا وهو ما يطابق السّياق الزمني للحدث[1].

وبذلك يتّضح أنّ الآية الكريمة تحمل في طياتها إعجازًا نحويًا وبلاغيًا وصرفيًا، وتُظهر دقّة التعبير القرآني في اختيار الألفاظ، وترتيبها، وحذفها، بما يخدم المعنى ويعظّم الحدث، ويُبرز مكانة النبي– صلى الله عليه وسلم–، ويُؤسّس لربط الأمة الإسلامية بالأنبياء والرّسالات السّابقة.

ويرى الباحث أنّ ذكر العبودية في قوله تعالى: "بعبده"، تمثّل أعلى مراتب القرب من الله تعالى، وهو اختيار لفظي دقيق يدلّ على أنّ التّشريف الحقيقي للنبي – عليه السّلام – لم يكن بوصف النّبوة أو الرّسالة، بل بوصف العبودية، وهو ما ذهب إليه عدد من الباحثين المعاصرين في دراساتهم البلاغيّة والدلاليّة للآية، حيث يرون أنّ العبودية هنا ليست مجرّد وصف، بل هي مقام يدلّ على كمال الطاعة والخضوع، ويقدّم على كل مقام آخر[2].

كما يرى بعضهم أنّ حذف المفعول به بعد (أسرى) يُفيد التّهويل ويترك للمتلقي أنّ يتخيّل عظمة الحدث، ما يُحقق بلاغة الإيجاز ويعزّز عنصر الإعجاز[3].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (سبح) : 472/2.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 9/15.

(3) ينظر:" سورة الإسراء"، دراسة بلاغية دلالية، فاضل ضايف سلطان، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2007م.

وهذا الرأي يتماشى مع ما قرّره البلاغيون من أنّ الحذف إذا دلّ عليه السّياق كان أبلغ من الذّكر[1] لأنّه يُشرك المتلقي في بناء المعنى، ويُثير ذهنه لتأمُّل الحدث، خاصة إذا كان الحدث مُعجزًا كالإسراء.

ومن خلال هذا التحليل يتّضح أنّ الحذف في هذه الآية يُستخدم لتحقيق الإيجاز والتركيز على المعنى الأساسي دون الإطناب، ما يعزّز بلاغة الحذف في القرآن.

ويأتي الحذف في قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد (1)].

جاء الفعل (سَبَّحَ) فعل ماضٍ يدلّ على حصول التنزيه، و(ما) اسم موصول في محل رفع فاعل، (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) جار ومجرور متعلقان بمحذوف هو صلة الموصول، والتقدير: (ما استقرّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أو (ما كان فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) هذا الحذف في صلة الموصول حذف جائز، وقد أشار إليه (سيبويه) حين قال:

"واعلم أنّهم مما يحذفون الكلمة وإنّ كان أصلها في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويعوضون ويستغنون بالشيء..." [2].

ما يدلّ على أنّ الحذف عند العرب يقع في مواضع مخصوصه إذا دلّ عليه السّياق.

ويُؤيده قول (ابن جني): "حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة مع وجود دليل على الحذف...." [3].

---

(1) ينظر: دلائل الإعجاز: 146/1.

(2) الكتاب: 24/1.

(3) الخصائص: 362/2.

فوجود شبه الجملة (في السموات) يدلّ على محذوف مقدّر، وهو الفعل الذي تتعلّق به، وهذا حذف يُفهم من السّياق.

أمّا من جهة البلاغة، فقد أشار (الجرجاني) إلى أنّ الحذف قد يكون أبلغ من الذكر، فقال:

"فأنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر." [1].

وهذا ينطبق على الآية إذ إنّ حذف الفعل في صلة التّركيب خفّة وسلاسة، دون إخلال بالمعنى، بل زاده قوّة ويلاحظ أنّ الجملة (هو العزيز الحكيم) جاءت استئنافًا يُبيّن صفات الله تعالى التي تقتضي التّسبيح، ما يعزّز المعنى ويُؤكّد دلالته.

ويرى الباحث أنّ الحذف في هذه الآية واقع في صلة الموصول، وهو حذف جائز نحويًّا، ومؤيّد بلاغيًّا، ومُثبت في كتب الإعراب، ويُوافق ما قرّره سيبويه، وابن جني، والجرجاني من أنّ الحذف إذا دلّ عليه السّياق، فهو من أساليب العرب الفصيحة، بل قد يكون أبلغ من الذّكر.

وبعد أن أُفتتحت السّورة بإعلان تسبيح الكائنات لله، ثم انتقلت إلى بيان صفاته العليا، الملك والعلم، والقدرة، جاء الانتقال إلى الآية الثانية ليظهر أثر هذه الصّفات في الكون، فبدأت بقوله تعالى:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحديد:2].

في هذه الآية يظهر حذف نحوي مقصود في قوله تعالى: ﴿يُحيي ويُميت﴾ إذ لم يُذكر المفعولان اللذان يتعدى إليهما الفعلان.

---

(1) دلائل الإعجاز: 146/1.

كأن يُقال (يحيي الموتى ويُميت الأحياء) أو (يُحيي من يشـــاء ويُميت من يشـاء)، إلا أنّ السّـياق القرآني اقتضـى الحذف، وهو حذف جائز نحويًا حين يكون المعنى مفهومًا من السّياق أو يُراد به التعميم.

صـرفيًّا، الفعلان مشـتقان من الجذرين (حيي) ، (مات)، وكلاهما مزيد بياء، ما يدلّ على أنّ الفاعل (الله) يُحدث الفعل في غيره، وهذا البناء الصّـــرفي يعزّز المعنى الإلهي للفعلين، ويُهيئ لتأمُّل دلالي أوسع[1].

ومعجميًّا، الإحياء هو إعطاء الحياة بعد عدمها، والموت هو سـلب الحياة بعد وجودها، وهما حالتان وجوديتان متقابلتان، يُعبّر بهما عن القُدرة المطلقة على التصرّف في الكائنات، بدءًا وانتهاءً[2].

دلاليًا، حذف المفعولين يُفيد العموم، أي أنّ الله يُحيي كل من شاء ويُميت من يشاء، دون تخصيص أو تقييد.

وهذا الحذف يُضفي على الفعلين طابعًا مطلقًا، يُناسب مقام الحديث عن ملك الله للســماوات والأرض، ويعزّز المعنى الكلّي للسّــورة التي تُفتتح بإعلان التســبيح الكوني وتُظهر مظاهر القدرة الإلهية[3].

وبلاغيًّا، يُعدّ هذا الحذف من باب الإيجاز، وهو نوع من الإعجاز في التعبير، إذ يحمل اللفظ دلالات واسعة دون إطناب، ويُضفي على النّص جلالًا وهيبةً، ويفتح باب التأمل أمام المتلقي.

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 136/14.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (حي) (موت) .

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 384/22.

كما أنّ حذف المفعولين يعزّز من وقع الفعلين على السّـــامع، ويُجسّـــد تمام السّلطان الإلهي دون حاجة لتفصيل، ويُظهر أنّ الحذف يُراد به التعميم والتفخيم، ما يعزّز المعنى العقدي والبلاغي في آنٍ واحد[1].

وبذلك يتّضح أنّ الحذف في هذه الآية ليس مُجرّد حذف نحوي، بل هو حذف مقصـــود يخدم المعنى الدلالي والبلاغي، ويُعبّر عن قدرة الله المطلقة في الإحياء والإماتة، ويُجسّد التّناسق بين البنية اللغوية والمقصد الإلهي في التّعبير القرآني.

ويُعدّ حذف الفعل أو مفعولاته من الأسـاليب التي تكثر في النّص القرآني، لما فيها من بلاغة وإيحاء وتوجيه، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْـتَطَعْتُمْ وَاسْـمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِـكُمْ وَمَن يُوقَ شُـحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16].

جاءت هذه الآية في ســـياق توجيهي إيماني يتضـــمن مجموعة من الأفعال الأمرية المتتابعة، وهي (اســـمعوا)، (أطيعوا)، (أنفقوا)، وكلها أفعال متعدّية، إلا أنّها وردت دون مفاعيلها، ما يُبرز ظاهرة الحذف في الجملة الفعلية.

ومن الناحية النّحوية، فإنّ حذف المفعول به في هذه الأفعال يُعدّ حذفًا جائزًا إذا دلّ عليه السّياق، وهو ما يُعرف بالحذف للدلالة أو الحذف للعلم بالمفعول[2].

فقد أشـار سـيبويه إلى أنّ الحذف يقع إذا كان المعنى مفهومًا، وأنّ العامل قد يُستغنى عنه إذا دلّ عليه السّياق، وهو ما ينطبق على هذا الموضع[3].

إذ يُقدّر المفعول بحسب المقام، كأن يُقال:

(اسمعوا كلام الله، وأطيعوا أوامره، وأنفقوا المال).

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 358/27.

(2) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 275/14.

(3) ينظر: الكتاب: 25/1.

أمّا (خيرًا)، فقد وردت منصــوبة على أنّها مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: (آتوا خيرًا لأنفســكم) أو (قدّموا خيرًا)[1]، وهو حذف للفعل العامل في المفعول به، ويُقدّر بحسب المعنى والسّياق، ويُعدّ من الحذف اللفظي الذي يُغني عنه السّياق.

وقد أشــار (ابن جني) إلى أنّ الحذف باب واســع في العربية، وأنه يُعتمد فيه على الفهم والسّياق، لا على الذّكر اللفظي وحده[2].

وصـرفيًا، الأفعال (اسـمعوا، وأطيعوا، وأنفقوا) هي أفعال أمر مبنيّة على حذف النون، والواو فاعل، وكلها مُشــتقة من أفعال ثلاثية أو مزيدة: (سـمع، أطاع، أنفق)، وتدلّ على أفعال تتطلّب مفعولًا به، ما يعزّز أهمية تقدير المحذوف.

أمّا (خيرا) ، فهي مصـــدر يدلّ على الفضـــل والنفع، مشـــتق من الجذر (خ ي ر)، ويستخدم في السّياق القرآني للدلالة على العمل الصّالح أو النّفع العام[3].

وتدلّ (اسـمعوا) على إدراك الصّـوت، لكن في السّـياق القرآني يُراد بها السّـماع الذي يُفضــي إلى القبول والانقياد، و(أطيعوا) تعني الامتثال والانقياد للأمر، و(أنفقوا) تعني إخراج المال في سبيل الله[4].

إنّ حذف المفاعيل يُفيد العموم، أي أنّ الله يأمُر عباده بسماع كل ما يُرشدهم إليه، وطاعة كل ما يكلفّهم به، وإنفاق كل ما يُعينهم على النجاة، دون تحديد أو تخصيص، ما يعزّز المعنى التّربوي في الآية، ويوجّه النّفس إلى الامتثال المُطلق[5].

وقد أشـــار البلاغيون إلى أنّ الحذف في مثل هذه المواضـــع يُراد به التّعميم والتّفخيم، وهو ما يُضفي على الأمر طابعًا شموليًّا يُناسب مقام الخطاب الإيماني.

---

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 45/12.

(2) ينظر: الخصائص: 363/2.

(3) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 275/14.

(4) ينظر: لسان العرب، مادة (سمع، طاع، أنفق) .

(5) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 19/23.

كما أنّ حذف الفعل العامل في (خيرًا) يعطي للخير صفة التّحقق الذّاتي، كأن الخير ذاته مطلوب دون حاجة لتفصيل الوسيلة ما يعزّز من وقع المعنى في النّفس، ويجسّد تمام التوجيه الإلهي.

وأشار (ابن عاشور) إلى أنّ الحذف يُضفي على الفعل طابعًا مطلقًا يُناسب مقام الحديث عن صلاح النّفس، ويُعبّر عن قدرة التّعبير القرآني على الإيحاء بأكثر مما يُقال، وهو أحد أساليب الإعجاز القرآني، حيث يحمل اللفظ دلالات واسعة، ويضفي على النّص جلالًا وهيبةً، ويفتح باب التأمُّل أمام المتلقي[1].

ويرى الباحث أنّ الحذف المتكرّر في الآية يُعبّر عن منهج قرآني في التّربية الإيمانية، حيث يُترك للسامع أنّ يُقدّر المفعول بحسب حاله، ما يعزّز التّفاعل مع النّص ويفتح باب التّأمُل والتّطبيق العملي.

كما أنّ الحذف يُسهم في بناء خطاب إيماني شامل، يُخاطب النفس من الداخل، ويُرشدها إلى الخير دون أن يُقيّدها بتفصيل، وهو ما يُجسّد التناسق بين البنية اللغوية والمقصد الإلهي في التّعبير القرآني، ويُبرز أثر التحوّلات في البنية الفعلية على مستوى المعنى والبلاغة.

ويتبيّن من خلال تحليل الآيات السابقة من السّور المسبّحات أنّ الحذف في الجملة الفعلية في التعبير القرآني يُعدّ من أبرز الظّواهر التّركيبية التي تُسهم في بناء المعنى وتكثيفه، دون إخلال بالوضوح أو التّماسك.

ففي الآية ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ﴾، حُذف الفعل في صدر الآية، وكذلك حُذف مفعول (أسرى)، ما يُحقق غرضًا بلاغيًا في التّعظيم، وإثارة الانتباه، وفي التّشويق والتّدرّج البياني.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 286/28.

وفي قوله تعالى: "سبّح لله ما في السموات .."، لم يُذكر الفعل (استقرّ) أي أنّ التقدير: (سبّح لله ما استقرّ في السموات) ما يعزّز من شمولية الفاعلية.

أمّا في الآية الثانية من سورة الحديد: "يُحيي ويُميت"، فالفاعل مُضمر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلاله (الله) ، لكن الحذف وقع في المفاعيل، إذ لم يُذكر من يُحييه الله أو يميته، ما يُضفي على الفعل طابعًا مطلقًا، ويُناسب مقام الألوهية، ويُعبّر عن قدرة الله الشاملة.

أما في قوله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا﴾، تكرّر الحذف في المفاعيل، إذ وردت الأفعال دون مفاعيلها، ما يعزّز من شمولية الأمر الإلهي، ويفتح باب الامتثال دون تقييد، كما حُذف الفعل العامل في (خيرا) والتقدير: (قدّموا خيرًا لأنّفسكم)، ما يُظهر حذفًا فعليًا في تركيب المصدر المنصوب.

ويتّضح من هذه المواضع أنّ الحذف في الجملة الفعلية في السّياق القرآني لم يكن حذفًا عشوائيًا، بل كان حذفًا مقصودًا، يُوظّف بلاغيًا ونحويًا لخدمة المعنى، وتكثيف الدّلالة، وتوسيع دائرة التّأويل.

وقد تنوّعت صور الحذف بين حذف الفعل، والمفعول به، ما يُبرز قدرة البنية الفعلية على احتواء المعاني المتعددة، ويُجسّد التّناسق بين التّركيب والدّلالة في أرقى صوره.

ويرى الباحث أنّ هذا التنوّع في الحذف يُعبّر عن مرونة التّركيب القرآني، وعن بلاغة الإيجاز التي تحقق غاية البيان، وتُفتح بها آفاق الفهم والتدبّر دون إخلال بالوضوح أو التأثير في المعنى.

يتّضح من هذا المبحث أنّ التحوّلات التّركيبية في البنية الفعلية تُعدّ من أبرز مظاهر التّشكيل الأسلوبي في النّص القرآني، إذ تُسهم بفاعلية في بناء المعنى وتوجيهه، وتُضفي على الخطاب طابعًا بلاغيًا وتربويًا متماسكًا.

وقد بيّنت دراســة التّقديم والتأخير، والذّكر والحذف أنّ البنية الفعلية في القرآن الكريم ليست ثابتة أو تقريرية، بل ديناميّة تتفاعل مع السّياق والمقام.

وقد أظهر التحليل أنّ توظيف موقع الفعل أو مكوّناته يُحقق أغراضًــا بلاغية متعددة منها: إبراز العنصــر الأهم، وتحقيق التناســب الصّــوتي والدّلالي، وتوجيه الانتباه إلى جهة الفعل أو مفعوله، بما يعكس الطّابع الفنّي المناسب للمقام التعبيري.

وقد تبيّن أنّ الحذف يُستعمل لتحقيق الإيجاز والتّشويق والتّعميم، مع المحافظة على المعنى وســلامة التراكيب، حيث تنوّعت مواضــع الحذف بين الفعل، والمفعول بما يكشف عن دقّة التوّظيف البلاغي والدلالي في ضوء السّياق التّعبيري والتّربوي.

وعليه فإنّ هذه التحوّلات التّركيبية لا تُعدّ مُجرّد ظواهر نحوية، بل أدوات بلاغية تُســهم في إبراز المقاصــد التّعبيرية، وتمنح النّص القرآني طابعًا فنيًّا وتربويًّا فريدًا، وتُظهر الامكانات التّركيبية لخدمة المعنى، حيث إنّ ما يُقال وما يُترك كلاهما يُسهم في تشكيل الرّسالة القرآنية.

وبعد اســتقراء مُعمّق وتحليل تطبيقي دقيق، يتبيّن أنّ العلاقات الإســنادية في الجملة الفعلية تشــكّل محورًا بنيويًّا في التّركيب اللغوي، وتُســهم في بناء المعنى وتوجيهه داخل النّص القرآني.

وبعد أن تم الوقوف على مكوّنات الجملة الفعلية، وتبيّن أنّ هذه العناصــر ليســت ثابتة في مواقعها، بل تخضــع لتحوّلات تركيبية دقيقة تُراعي السّــياق البلاغي والمقام الخطابي، وتُســهم في تحقيق الإيجاز والتّوكيد والتّخصــيص وغيرها من الوظائف البلاغية.

وقد أظهر البحث في السّور المسبّحات السّبع أنّ التّقديم داخل الجملة الفعلية ورد في مواضع محدودة، أبرزها تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وقد دلّ السّياق على أنّ هذا التّقديم يحقّق أغراضًــا بلاغية مثل التّوكيد والاهتمام، وإبراز الأثر قبل الفعل.

وتبيّن أنّ الحذف في الجملة الفعلية ورد في مواضـع متعدّدة، وتنوّع بين حذف الفعل أو المفعول به أو متعلّق الفعل، أو الحذف في صـلة الموصـول، ما يدلّ على مرونـة التّركيـب القرآني وثرائـه البلاغي وقُـدرتـه على تكثيف المعنى دون إخلال بالوضوح أو الاتّساق.

الفصل الثالث
مكمّلات الإسناد في الجملة العربية

توطئة

المبحث الأوّل – المفاعيل وأنواعها.

المبحث الثاني – الحال في النّحو العربي.

المبحث الثالث – التّمييز وأنواعه.

توطئة:

يُعدّ الإســـناد في الجملة العربية عماد البنية النّحوية، إذ يُفضـــي إلى تمام المعنى عبر الرّبط بين المسند والمسند إليه، ومع ذلك، فإنّ هذا الإسناد لا يستغني عن مكونات تركيبية أخرى تكمل المعنى وتوسّـــع دلالته، تعرف في الدرس النّحوي باسم (مكملات الإسناد).

هذه المكمّلات ركائز نحوية ووظيفية تضـــاف إلى الفعل بعد اكتمال العلاقة بينه وبين فاعله أو نائبه، فتحدد نوع الحدث، وزمانه، ومكانه ومصـــدره وعلّته وكيفية تحقّقه، ومن يقع عليه أو ما يُبيّن معناه بدقّه ووضوح.

وقد حرص النّحاة على دراسة هذه المكمّلات تحت مسمّيات متعددة، أبرزها: المفاعيل، والحال، والتّمييز، والظّرف، والاســـتثناء، والجار والمجرور، لما لها من علاقة مباشرة بالفعل، ودور مُؤثّر في بنية التّركيب.

وفي هذا السّـــياق، يُعالج هذا الفصـــل مكمّلات الإســـناد في الجملة العربية، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأوّل – المفاعيل:

ويتناول دلالتها اللُغوية والاصـــطلاحية، وأنواعها النّحوية، وآراء النُّحاة في عواملها، ومدى تأثير موقعها السّياقي بالمقتضى الدّلالي، مدعومًا بنماذج تطبيقية من السّور المسبّحات.

أما المبحث الثاني فيتناول:

الحال بوصـفها عُنصـرًا يُفيد هيئة وقوع الحدث، وتُدرس من حيث شـروطها النّحوية، ووجوب حضورها أو حذفها، وانعكاسها على البنية الدلالية.

ويتناول المبحث الثالث:

التّمييز الذي يُزيل الإبهام في المفرد أو النّسبة، ويُؤدّي وظيفة الإيضاح في التّركيب اللغوي.

ويستند هذا الفصل إلى المنهج التحليلي التّطبيقي في دراسة نماذج منتقاة من سور المسبحات، لرصد الأثر الدّلالي والنّحوي لهذه المكمّلات داخل النّص القرآني، وربط المعايير النّحوية والوظيفية بالمقاصد التّفسيرية والبلاغية للنّص.

وفي ضوء ذلك تُعدّ مكمّلات الإسناد عناصر أساسية في بناء الجملة العربية، لما لها من أثر في تحديد العلاقات النّحوية والدلالية بين مكوّنات التّركيب.

وقد ذهب جمهور النّحاة إلى أنّ مكمّلات الإسناد تدخل ضمن باب (الفضلات)، وهي عندهم كل ما يأتي من الجملة مكمّلًا لاركنًا أساسيًا، وقد استمد هذا المفهوم من المعنى اللغوي لكلمة (فضلة) أي الزائد أو الباقي، فالفضلة: بقية الشئ، أي ما فضل منه[1].

أمّا اصطلاحًا، فالفضلات جمع (فضلة)، وهي كل اسم أو شبه جملة يُتمّ التّركيب اللُغوي دون أنّ يُؤثّر على البنية الإسنادية الأساسية، وإن كان له أثر بلاغي ودلالي. أي أنّها "ما يأتي من الأسماء تتميمًا للكلام، ويمكن الاستغناء عنه غالبًا في بناء الجملة"[2].

ومن أبرز الفضلات النّحوية التي سيتم دراستها:

المفاعيل، والحال، والتّمييز.

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (فضل) .

(2) المنهاج المختصر في علمي النّحو والصرف: 88/1.

المبحث الأوّل
المفاعيل وأنواعها

توطئة

أوّلًا– مفهوم المفاعيل

ثانيًا – أنواع المفاعيل

ثالثًا– آراء النّحاة في عوامل المفاعيل

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

المفاعيل وأنواعها:

تُعدّ المفاعيل من أبرز المكمّلات الإسنادية في الجملة الفعلية، إذ تُسهم في توسيع نطاق المعنى، وتكمل دلالة الفعل من حيث الزّمن، والمكان، والسّبب، والمصاحبة.

وقد حظيت هذه الوظائف النّحوية باهتمام بالغ من النّحاة، لما لها من أثر في ضبط العلاقات التّركيبية وتحديد مواقع الإعراب.

أوّلًا- مفهومها في اللغة والاصطلاح:

تدل مادة (فعل) في اللغة على الحدث أو الإنجاز، ومنه الفعل والمفعول، أي من وقع عليه الحدث، وقد ورد أنّ الفعل ما كان من الإنسان من حركة أو عمل[1].

ويُقصد بالمفعول في اصطلاح النّحاة:

"الاسم الذي يقع عليه فعل الفاعل"[2].

أي الاسم المنصوب الذي يقع عليه أثر الفعل أو يتعلّق به، من جهة الزمان أو المكان أو العلّه أو المصاحبة[3].

ثانيًا – أنواع المفاعيل:

زعم الكوفيون أنّه ليس للفعل إلّا مفعولًا واحدًا وهو المفعول به، أمّا البصريون فتنوّعت عندهم المفاعيل بحسب نوع العلاقة التي تربطها بالفعل، ما دفع النّحاة إلى تصنيفها إلى أنواع محددة، لكل منها وظيفة تركيبية ودلالة سياقيّة خاصة.

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (فعل) .

(2) التطبيق النّحوي: 189/1.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 88/1، 89.

وقد اســـتقرّ الرأي عند جمهور النّحاة على أنّ أنواع المفاعيل خمســـة وهي: المفعول به، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق، والمفعول فيه والمفعول معه[1].

ويُعدّ هذا التّقسيم أساسًا في دراسة البنية الإسنادية للجملة، إذ يُبرز كيف يتفرّع المعنى من الفعل إلى عناصر تكميليّة تُثري التّركيب وتُحدد المقاصد.

وفيما يلي عرض تفصـــيلي لكل نوع من هذه الأنواع، مع بيان خصـــائصـــه النّحوية والدّلالية، وأمثلة توضيحية من النّصوص القرآنية:

1. المفعول به:

يعرف المفعول به بأنّه:

"ما وقع عليه فعل الفاعل"[2].

أي الاســـم الذي يقع عليه فعل الفاعل، ويُعرب منصـــوبًا دائمًا، ويُعدّ من مكمّلات الإسـناد التي لا يتم المعنى إلّا بها، ما يُضـفي على الجملة وضـوحًا ودقّةً في التعبير، وقد يأتي ظاهرًا أو مؤوّلًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة، من الآية : 72].

و"نفسًا"، مفعول به للفعل (قتل) . وقد وقع عليه أثر القتل.

2. المفعول المُطلق:

يُعرّف المفعول المطلق بأنّه:

"اسـم منصـوب يكون مصـدرًا أو نائبًا عنه، ويأتي لتأكيد عامله أو تبيين نوعه أو عدده"[3].

---

(1) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي: 1351/3.

(2) المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 88/1.

(3) التطبيق النحوي: 216/1.

أي المصدر المنصوب من جنس الفعل، ويُذكر لتوكيد الفعل أو بيان نوعه أو عدده، ويُعرب منصوبًا دائمًا، ويكون غالبًا مصدرًا صريحًا للفعل الذي قبله، ويجوز أن يحذف الفعل ويُبقى على المصدر[1].

ودلاليًا يُستخدم المفعول المطلق لتوكّيد الفعل، أو لتحديد نوعه، أو عدده، ما يُضفي على الجملة وضوحًا وقوّةً في التعبير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء، من الآية: 110]، حيث أنّ (تَكْبِيرًا) مفعول مطلق للفعل (كبّره)، وقد ورد لتوكيد الفعل، وإظهار قوّته.

3. المفعول لأجله:

"لا يكون إلا مصدرًا ولكن العامل فيه فعل غير مُشتق منه، وإنّما يُذكر لأنّه علّة لوقوع الأمر"[2].

أي أنّه الاسم الذي يذكر لبيان سبب وقوع الفعل أوعلّته، ويشترط فيه أن يكون مصدرًا قلبيًّا، وأنّ يتّحد مع الفعل في الزمن والفاعل، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء : 28] ، فـ(ابْتِغَاءَ) مفعول لأجله يبيّن سبب الإعراض، وهو طلب الرّحمة من الله.

4. المفعول فيه:

وهو الاسم المنصوب الذي يدلّ على الزّمان أو المكان الذي وقع فيه الفعل، ويُشترط فيه أن يكون مُتضمّنًا معنى (في) [3]، نحو قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ﴾ [غافر، من الآية: 17].

(يَوْمَ الْأَزِفَةِ) مفعول فيه ظرف زمان، يُبيّن وقت الإنذار.

---

(1) ينظر: النّحو الوافي: 204/2.

(2) الأصول في النّحو، ابن السراج: 206/1.

(3) ينظر: شرح الأشموني على ألفيه ابن مالك، علي الأشموني: 485/1.

5. المفعول معه:

"هو اســم فضــلة ، تال لواو بمعنى (مع) تالية لجملة ذات فعل أو اســم فيه معناه وحروفه، كـ: سرت والطريق، وأنّا سائر والنيل"[1] أي أنّه اسم منصوب لا يكون جملة ولا شبه جملة، قبله واو تدلّ على المصاحبة أي بمعنى (مع) . نحو:

علفتها تبنًا وماءً باردًا حتى شتتْ هَمّالةً عيناها

أي علفتها تبنًا وســـقيتها ماءً باردًا، وقد ذهب جمهور النحاة إلى أن "ماءً" منصــوب على أنه مفعول معه؛ لأن الواو بمعنى "مع"، والمعني: علفتها تبنًا مع ماء بارد، ورأى بعضـــهم أن في البيت حذفًا، والتقدير: علفتها تبنًا وســـقيتها ماءً باردًا، فجعلوه وقيل: الواو للعطف، غير أن هذا ضعيف لاختلاف الفعلين [2]

ويرى الباحث أنّ المفاعيل الخمسة تُمثّل ركيزة أساسية في بناء الجملة الفعلية العربية، إذ تُسهم في استكمال المعنى وتوضيح العلاقات بين عناصر الجملة، وتُعدّ من مكمّلات الإسناد التي لا يتم المعنى إلّا بها في كثير من السّياقات.

وقد اتّفق النّحاة على أنّ هذه المفاعيل تُعرب منصـــوبة، وتختلف وظائفها بحسب نوعها، ما يُبرز ثراء النظام النّحوي العربي ودقته في التّعبير عن المعاني.

وقد اشار ابن الناظم (ت 686هـــ) إلى أنّ المفعول به هو "الاسم الذي يقع عليه فعل الفاعل"[3] بينما يُعرّف المفعول المطلق بأنّه : المصـــدر المنصـــوب من جنس الفعل، ويُستخدم لتوكيد الفعل أو بيان نوعه أو عدده[4].

---

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 212/2.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، 207/2.

(3) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 178/1.

(4) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 2/ 169.

أمّا المفعول لأجله، فقد بيّن النّحاة بأنّه، المصدر الذي يُبيّن سبب وقوع الفعل، ويُشترط فيه الاتّحاد مع الفعل في الزّمن والفاعل[1].

وفيما يخصُّ المفعول فيه، فقد اتّفق النُّحاة على أنّه الاسم المنصوب الذي يدلّ على الزمان أو المكان الذي وقع فيه الفعل، ويُشترط أن يتضمّن معنى (في).

أمّا المفعول معه فهو الاسم المنصوب الذي يُذكر بعد واو المعيّة لبيان من وقع الفعل بمصاحبته، بشرط ألّا يكون معطوفًا[2].

وبناءً على ما سبق يُؤكّد الباحث أنّ هذه المفاعيل لا تُؤدي وظيفة نحوية فحسب، بل تحمل دلالات سياقية ومعنوية تُسهم في توجيه المعنى وتحديد العلاقات الزمنية والمكانية والسببية والمصاحبة، ما يجعلها عناصر حيويّة في تحليل الجملة العربية من منظور نحوي دلالي.

ثالثًا- آراء النّحاة في عوامل المفاعيل:

تُعدّ مسألة العامل النّحوي من القضايا المركزية في النظرية النّحوية العربية، لما لها من أثر مباشر في تفسير العلاقات الإسنادية داخل الجملة.

وقد تناول النّحاة هذه المسألة من زوايا متعددة، فظهرت تباينات واضحة بين المدرستين البصرية والكوفية، لا سيّما في تحديد العامل في المفعول به، وهو أحد أبرز المفاعيل في التّركيب العربي.

1- رأي المدرسة البصريّة:

اتفقت آراء أعلام المدرسة البصرية، وفي مقدمتهم سيبويه في الكتاب، والمبرد في المقتضب، ابن جني في الخصائص، وابن الناظم في شرحه على ألفية ابن مالك، على أنّ الفعل وحده هو العامل في المفعول به.

---

(1) ينظر: المصدر السابق: 186/2

(2) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 198/1- 200.

ويسـتند هذا الرأي إلى أنّ الفعل هو العنصـر الذي يُحدث الأثر الإعرابي في الفاعل والمفعول معًا، دون حاجة إلى اشتراك الفاعل في سلطة العمل.

وقد أكدّ سيبويه أنّ الفعل هو الذي ينصب المفعول به، وهو ما تبنّاه من بعده المبرد، وابن جني مع تعليلات تدور حول استقلال الفعل بوظيفة الإسناد.

وقد وثّق أبو البركات الأنباري هذا الرأي، حيث قال:

وقال البصـريون: العامل في المفعول به هو الفعل وحده، وهو الذي يعمل في الفاعل والمفعول جميعًا[1].

2-رأي المدرسة الكوفيّة:

خالف الكوفيون البصريين في هذه المسألة، فذهبوا إلى أنّ العامل في المفعول به هو الفعل والفاعل معًا، مسـتدلين بأنّ المفعول لا يتحقّق إلّا بوجود الفعل والفاعل، لفظًا أو تقديرًا، وأنّ العلاقة بينهما تُكوّن وحدة معنوية تُحدث النّصب.

حيث ورد أنّ الكوفيين يقولون إنّ العامل في المفعول به هو الفعل والفاعل جميعًا[2].

كما انقسمت آراء الكوفيين إلى اتجاهات فرعيّة، فذهب بعضهم إلى أنّ الفاعل وحده هو العامل، باعتباره العنصر الذي يُحدث الفعل ويُرتّب عليه أثره.

بينما رأى خلف الأحمر أنّ العامل هو معنى المفعولية، أي أنّ العامل ليس لفظًا محددًا، بل هو دلالة معنوية كامنة في التّركيب[3].

---

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 66/1.

(2) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 67/1 بتصرّف.

ويُظهر هذا الاتجاه الكوفي نزعةً نحو التفسير الدلالي للعامل، وتوسيعًا لمفهومه ليشمل العلاقات السّياقية والمعنويّة، على خلاف البصريين الذين قصروا العامل على الفعل بوصفه عنصرًا نحويًّا مُستقلًا.

ويرى الباحث أنّه بعد عرض الاتّجاهين البصري والكوفي في تحديد العامل في المفعول به، وما تفرّع عنهما من آراء فرعية، يتبيّن أنّ الخلاف بين النّحاة لا يقتصر على الجانب الإجرائي في الإعراب، بل يمتد إلى التّصوّر النظري للعلاقات الإسنادية داخل الجملة.

ويرى الباحث أنّ القول بأنّ الفعل هو العامل الرئيس في المفعول به، كما ذهب إليه البصريون، هو الأقرب إلى المنهج الوصفي الذي تتبناه هذه الدراسة، وذلك لعدة اعتبارات:

- أنّ الفعل يُمثّل مركز الحدث في الجملة، وهو الذي يُرتَّب عليه وجود الفاعل والمفعول.
- أنّ الشواهد القرآنية، لا سيّما في السّور المسبّحات تُظهر انتظامًا نحويًا يعتمد على الفعل بوصفه أصل العلاقة الإسنادية.
- أنّ الاقتصار على الفعل يُجنّب التداخُل بين الوظائف النّحوية، ويعزّز وضوح البنية التّركيبية.

ومع ذلك، لا يغفل الباحث ما في الرأي الكوفي من عُمق دلالي، خاصة في تفسير العلاقات السّياقية، ما يُثري الدّرس النّحوي، ويفتح آفاقًا لفهم أوسع للجملة العربية.

وبذلك يتّضح أنّ مسألة العامل في المفعول به قد شكّلت محورًا جدليًا بين النّحاة، حيث انقسموا بين من يرى الفعل وحده عاملًا، وهم البصريّون، وبين من يرى أنّ الفعل والفاعل معًا يُحدثان النّصب، وهم الكوفيّون، مع وجود آراء فرعية تضيف أبعادًا دلالية ومعنوية للعامل.

ويُظهر هذا التباين مدى تعقيد العلاقات الإســنادية في الجملة العربية، ويُبرز أهميّة النّظر في البنية التّركيبية من جهة، والدّلالة السّياقية من جهة أخرى.

ويرى الباحث، أنّ القول بأنّ الفعل هو العامل الرئيس في المفعول به هو الأقرب إلى المنهج الوصفي الذي تتبناه هذه الدراسة، لما فيه من وضوح في تحديد العلاقة الإسنادية، وانسجام مع الصور التّركيبية التي ترد في السّياق القرآني، لا سيّما في الآيات المسبّحات التي تظهر انتظامًا نحويًّا دقيقًا في علاقات الإسناد.

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

بعد اســتعراض المفاهيم اللغوية والنّحوية للمفاعيل وأنواعها، وبيان آراء النّحاة في عوامل نصــبها، يأتي هذا الجزء التطبيقي ليوضّــح كيفيّة ظهور هذه المفاعيل وتفعيلها داخل النّصوص القرآنية المختارة من السّور المسبّحات.

ويهدف هذا الجانب إلى تقديم نماذج مختارة من الآيات التي تحتوى على أنماط مختلفة من المفاعيل، مع تحليل نحوي وصرفي ومعجمي ودلالي دقيق، وأحيانًا بلاغي، وبيان العوامل التي أدّت إلى نصــبها، ما يُثري الفهم النّظري، ويســعى إلى إبراز الوظيفة الدلالية للمفاعيل، وربط الجانب النّظري بما ورد من شواهد قرآنية.

وردت الآية:

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إسرائيل أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2].

وهي من الآيات التي تتضــمّن تركيبًا فعليًا يتعدى إلى مفعولين، ما يجعلها نموذجًا تطبيقيًا لتحليل المفاعيل ضمن إطار العلاقات الإسنادية في الجملة العربية.

(آتينا) فعل ماضٍ مبني على الســكون لاتصــاله بضــمير الفاعل (نا)، وهو ضمير متّصل في محل رفع فاعل يعود على الذّات الإلهية.

أما (مُوسَى) فهو مفعول به أول منصوب، (الْكِتَابَ) مفعول به ثان منصوب، وكلاهما مكملان للفعل (آتينا) الذي يتعدى إلى مفعولين[1].

يقول سيبويه:

واعلم أنّ مما يقبح ويستقبح أن تضع الفعل موضع الابتداء والخبر فتقول: أعطيت زيدًا درهمًا، وإنّما الأصل: الدرهم لزيد[2].

هذا التحوّل من التّركيب الاسمى إلى الفعلي يُعدّ من مظاهر التحوّل الإسنادي في الجملة العربية، إذ يُستبدل الإسناد الاسمى الذي يُقرّر العلاقة بين طرفين (الْكِتَابَ لمُوسَى) بإسناد فعلي يُبرز الفاعلية الإلهية ويُضفي على التّركيب طابعًا حركيًا.

وقد أشار (الزمخشري) إلى أنّ تقديم الفعل (آتينا) يُفيد الاهتمام بالفعل نفسه، أي الإيتاء، ما يعزّز البُعد البلاغي في التّركيب، ويُبرز منّة الله على نبيّه موسى – عليه السّلام–[3].

ومن النّاحية الصّرفية، فإنّ الفعل (آتينا) من الجذر (آتى)، مزيد بهمزة التعدية على وزن (أفعل)، وهو من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين.

أمّا (موسى) وهو اسم أعجمي ممنوع من الصّرف، لا يُنوّن، ويُعرب مفعولًا به أوّل، والفعل (جعلناه) كذلك من الأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين، الأوّل هو الضمير (الهاء) العائد على الكتاب، والثاني هو (هُدًى).

وهو مصدر منصوب يدلّ على الغاية من الجعل، وقد قرّر النّحاة أنّ (جعل) من أفعال التحويل التي تنصب مفعولين، وهما (الهاء، وهُدًى) [4].

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 8/8.

(2) ينظر: الكتاب: 37/1.

(3) ينظر: الكشاف: 648/2.

(4) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 239/6.

وقد أشار الزمخشري إلى أنّ (جعلناه هُدًى) يُفيد أنّ الكتاب لم يكن مُجرّد نصّ مكتوب، بل صار وسيلة للهداية، ما يُضفي على التّركيب بُعدًا دلاليًا يتجاوز الإخبار إلى التّوجيه[1].

أمّا (هُدًى) مصـــدر من الجذر (هـ د ى)، يدلّ على الإرشـــاد والدّلالة على الطريق، ويسـتخدم في السّـياق القرآني بمعنى الهداية إلى الحق، وهو منصـوب على أنّه مفعول به ثانٍ للفعل (جعل)، والفعل (تتخذوا) فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لا، والواو ضمير متّصل في محل رفع فاعل، وتعدى إلى مفعول به وهو (وكيل) إســـم مشـــتق من (و كّ ل)، ويعني من يُفوّض إليه الأمر ويُعتمد عليه في تدبير الأمور، وقد ورد أنّ (الوكيل) هو الكافي، والوكيل من أســـماء الله تعالى، وهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد[2].

(من دوني) جارٍ ومجرور متعلّق بالفعل، يُفيد جهة الاتخاذ أي اتخاذ غير الله وكيلا[3]، ما يعزّز البُعد التوحيدي في الآية، ويُظهر أنّ الهداية لا تكتمل إلا بالتوكّل على الله وحده.

ومن النّاحية الدّلالية، يتّضـح أنّ الآية تتضـمّن ثلاثة أفعال رئيسـة، كل منها يتعدى إلى مفعولين، ما يُبرز التدرّج في العلاقة بين الله وبني إسرائيل، بدءًا بالإيتاء، ثم الجعل، ثم النّهي، ويُلاحظ أنّ كل فعل يُسـند إلى ضـمير الفاعل (نا)، ما يُضـفي على التّركيب طابعًا بلاغيًا يُظهر المبادرة الإلهية في منح الكتاب، وتحديد وظيفته وتوجيه بني إسرائيل إلى التّوحيد[4].

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 648/2.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (وكّل) : 736/11.

(3) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 8/8.

(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 353/17.

هذا التّدرّج في الإسـناد يُعدّ من مظاهر التحوّل الإسـنادي في الجملة العربية، حيث يُستبدل التّركيب الاسمي بالفعل، ما يُضفي على النّص طابعًا ديناميكيًا، ويُبرز الفاعلية الإلهية، ويعزّز البعد البلاغي في التّركيب[1].

ويرى الباحث أنّ الآية تمثّل نموذجًا نحويًا وبلاغيًّا متكاملًا لتعدد المفاعيل في الجملة العربية وتنوّعها، ما يجعلها نموذجًا تطبيقيًا غنيًّا لتحليل المفاعيل ضـمن إطار مكمّلات العلاقة الإسنادية في الجملة العربية.

ويُعدّ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَـنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء : 28].

نموذجًا غنيًّا لتحليل الوظائف الإسـنادية في اللغة العربية، لما يتضـمّنه من تنوّع في المكمّلات الإسـنادية، التي تتوزّع بين المفعول لأجله في (ابتغاء رحمةٍ)، والمفعول به في (ترجوها)، والمفعول المطلق كما في ﴿قولًا ميسورًا﴾، ويُبرز هذا التنوّع إمكانات التطبيق العملي لدراسـة مكمّلات الإسـناد من حيث موقعها في التّركيب، ووظيفتها النّحوية، ودلالتها في السّياق القرآني.

(تُعرضـنّ) فعل مضـارع مبني على الفتح مؤكّد بالنون الثقيلة، والفاعل ضـمير مسـتتر تقديره (أنت)، (عنهم) جار ومجرور متعلق بالفعل، ويُعامل في هذا السّـياق معاملة المفعول به على نزع الخافض، كما قرر سيبويه، حين قال:

واعلم أنّ مواضع النّصب أن يُنزع الخافض وينصب الاسم على المفعولية[2].

أمّا ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ (ابتغاء) مصدر منصوب على أنّه مفعول لأجله. يدلّ على سبب الإعراض، حيث قال الزمخشري: إنّ المفعول لأجله هو ما ذُكر سببًا للفعل[3].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 24/15.

(2) ينظر: شرح أبيات سيبويه، السيرافي: 170/1.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 661/2.

و(ترجوها) جملة فعلية، الفعل (ترجو) مضـــارع مرفوع وعلامة رفعه ضـــمة مقدرة. والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت)، والهاء ضمير متّصل في محل نصب مفعول به، ما يظهر أنّ الرّحمة هي المرجوة، وهي علة الإعراض أما الجملة (قل لهم قولًا مسـيورًا)، فالفعل (قل) فعل أمر، والفاعل ضـمير مسـتتر، و(لهم) جار ومجرور مُتعلّق بالفعل، (قولاً) مصـدر من (قال) منصـوب على أنّه مفعول مُطلق للفعل (قُل) – يوافقه لفظًا ومعنىً،[1]، ويُستخدم لتأكيد نوع القول أو بيانه، كما قرر (ابن جنّي):

المفعول المطلق هو الاسم المنصوب الذي يوافق فعله لفظًا ومعنًى[2].

(ميسورًا) نعت لـــــ (قولا) منصوب، يحدد نوع القول المطلوب، وهو القول الليّن السّهل.

ومن النّاحية الصّـــرفية، فإنّ (تعرض) من الجذر (ع ر ض)، على وزن (تفعل)، ويدلّ على الفعل المســتمر أو المتوقّع، (ابتغاءَ) مصــدر (ابتغى) على وزن (افتعال)، وهو من المصــادر التي تُســتخدم مفعولًا لأجله، (رحمة) اســم مُشــتق من الجذر (ر ح م) على وزن (فعلة) يدلّ على اللين والعطف، (ترجوها) من (ر ج و) فعل يدلّ على التوقّع والأمل، أمّا (قولًا) فهو مصـــــدر من (قال) على وزن (فَعّل)، و(مسيورًا) من (يسر)، اسم مفعول يدلّ على السّهولة[3].

وقد ورد أنّ (القول) هو الكلام، (الميســور) هو السّــهل الليّن[4]، ما يُظهر أنّ المطلوب في الآية هو التلطّف في الرّد، لا مُجرّد الرّد.

أمّا (الرحمة) فهي في الأصـــل الرّقة والعطف، وتُســـتخدم في القرآن بمعنى الفضل الإلهي، كما في هذه الآية، حيث فسّرها (الطّبري) بأنّها الرّزق الذي ترجوه من

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 38/8.

(2) ينظر: توجيه اللمع: 165/1.

(3) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 39/8.

(4) ينظر: لسان العرب، مادة (قول، يسر) .

ربّك، أي أنّ الإعراض ليس عن قسوة، بل عن عجز، (القول الميسور) هو وعد بالخير عند التيسير[1].

ومن النّاحية البلاغية، فإنّ استخدام (وإمّا) في بداية الآية يُفيد التّفصيل والاحتمال، ما يُهيئ السامع لتقبُّل التوجيه، كما أنّ تقديم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ) على (ترجوها) يُبرز السبب قبل النتيجة، وهو من أساليب التّقديم البلاغي الذي يُفيد الاهتمام، كما قرره (ابن عاشور) حين قال: أنّ التّقديم هنا لإبراز العلّة في الإعراض، وهو انتظار الرحمة، لا الإهمال، أمّا الأمر بـ ﴿فقل لهم قولًا ميسورًا﴾ فهو من أساليب التلطّف، حيث يُطلب من النبي – عليه السّلام – أنّ يُواسيهم بالكلام، إذا لم يكن لديه مال، وهو ما يُظهر البُعد الإنساني في الخطاب القرآني [2].

يرى الباحث أنّ هذه الآية تُجسّد تنوّعًا نحويًّا في المفاعيل، حيث ورد فيها المفعول لأجله، والمفعول به، والمفعول المطلق، ما يُبرز قدرة الجملة العربية على التعبير عن العلاقات الإسنادية المتعددة داخل تركيب واحد، كما أنّ وجود المفعول لأجله في صدر الآية يُظهر كيف أنّ العلّة تُقدّم على الفعل أحيانا، ما يُضفي على التّركيب طابعًا دلاليًّا وبلاغيًّا متماسكًا، ويعزّز من وظيفة المفعول في بناء المعنى، لا باعتباره مكمّلًا، بل عنصرًا إسناديًا محوريًا.

وقد بيّن النّحاة أنّ المفاعيل من مكمّلات الجملة التي لا تندرج تحت (المسند والمسند إليه)، لكنّها أساسية لإيضاح مقاصد الكلام.

ويتجلّى ذلك في (سورة الإسراء) بوضوح، حيث تُسهم المفاعيل في إظهار الجانب البياني والبلاغي في النّص القرآني، فتربط المعاني بالمقاصد التعبديّة

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 430/17.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 82/15 بتصرّف.

والسّـــلوكية، ويُؤكّد ذلك أنّ توظيف المفاعيل في القرآن لا يأتي اعتباطًا، بل يتّســـم بالدّقة والتدرّج السّياقي، ما يُبرز دورها في بناء النّص وتشكيل بُعده الدلالي والتأثيري.

وبعد هذا التنوّع النّحوي الذي شـهدته المفاعيل في (سـورة الإسـراء)، يتواصـل حضـــورها في نصـــوص قرآنية أخرى، لُتؤكّد ثبات وظيفتها الإســـنادية وتنوّع أدوارها الدلالية، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًـــا حَسَـــنًا فَيُضَـــاعِفَهُ لَـهُ وَلَـهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:11].

وهي آية تتجلّى فيها المفاعيل بأشـكالها المختلفة بما يســهم في إبراز المعنى وتقوية البنية الإسنادية في التّركيب الفعلي القرآني.

وتتضـمّن تنوّعًا نحويًا واضـحًا في المفاعيل، فقد ورد لفظ الجلالة (الله) مفعولًا للفعل (يُقرض) دالًا على جهة الفعل، كما جاء (قرضـــا) مفعولًا مُطلقًا يُؤكّد الفعل ويُبيّن نوعه، في حين وصـف هذا المفعول بلفظ (حسـنًا) لبيان جودة الفعل ومقصـده، ثم اتّصـــل بالفعل الثاني (فتضـــاعفه) ضـــمير عائد على المقترض، وهو مفعول به أيضًا[1].

وبهذا تتجلّى في الآية صـــورة من صـــور التنوّع التّركيبي في المفاعيل، بين الاســم الظاهر، والمصــدر، والضــمير المتّصــل، بما يُبرز مرونة التراكيب العربية، وقدرتها على آداء المعنى بدقّة.

ومن النّاحية الصّـــرفية، يظهر في الآية فعلان مزيدان أقرض وأصـــله الفعل الثلاثي (قرض)، على وزن (أفعل) من أقرض، يدلّ على التّعدية إلى مفعول به هو

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 143/14.

لفظ الجلالة، (يضاعف) مزيدًا بالالف من الفعل الثلاثي (ضعف) على وزن (يُفاعل) يفيد التّكثير والمضاعفة في الجزاء[1].

يتّضح من ذلك التّناغم الصرفي أنّ البنية الاشتقاقية للفعلين تخدم الدّلالة الإسنادية والدلالية للآية، حيث يُؤسّس الأوّل للفعل الإسنادي، والثاني يُعبّر عن الجزاء الإلهي.

الفعل (أَقْرض) من الجذر (قَ رَضَ)، وهو أصل يدلّ على القطع، وقد ورد أنّ القرض في الأصل القطع، ومنه سُمي القرضُ لأنّ المُقرض يقطع من ماله قطعة فيدفعها إلى غيره على أن يعوّضه عنها[2].

وهو ما يعني التّحويل من المعنى المادي (القطع) إلى المعنى المجازي (العطاء) الخالص لله، ويُظهر دقّة التّعبير القرآني، إذ يربط الفعل الإنساني بالجزاء الإلهي[3].

وتكشف المفاعيل في الآية عن عُمق العلاقة الإسنادية بين الفعل ومتعلّقاته: المفعول به (الله) يُوجّه الفعل نحو غاية سامية، المفعول المطلق (قرضًا) يؤكّد الفعل ويثبت معناه، الوصف (حسنًا) يُبرز نوعيّة العمل وصفاء القصد، الضمير المتّصل في (فيضاعفه) يُعبّر عن الجزاء الإلهي المضاعف، وبهذه الصّورة تتكامل المفاعيل في رسم علاقة متوازنة بين العمل الإنساني والجزاء الإلهي، ما يعزّز وضوح التّركيب الإسنادي والبلاغي للآية[4].

وفي قوله تعالي:

---

(1) ينظر: المصدر السابق: 147/14.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (قرض) .

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 282/5.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 377/27، بتصرّف.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: الآية 1].

يظهر البناء اللغوي في صورة متكاملة تجمع بين النّحو والصرف والدّلالة والبلاغة، ففي قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا" تأتي (سبحان) مصدر منصوب يُفيد التّنزيه المُطلق، وهو افتتاح يُهيء المتلقي لتلقي حدث خارق للعادة، والفعل محذوف تقديره (أُسبّح الله)، الفعل (أسرى) فعل رباعي مزيد بالهمزة للتعدية من الفعل (سرى)، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى الله تعالى، (بعبده): جار ومجرور متعلّقان بأسرى، (ليلا): ظرف زمان متعلّق بالفعل أسرى (مفعول فيه) لأنّه يُحدد وقت وقوع الحدث، والتنكير فيه يُفيد التّهويل والتّعظيم[1].

ويُؤكّد أنّ المعجزة وقعت في زمن الليل كلّه أو في جزء منه دون تحديد ساعة بعينها.

وجاء الفعل (أسرى) بصيغة الرباعي لإظهار التّعدية المباشرة، (ليلًا) يدلّ على السّكون والستر، ما يُضيف إلى المعنى بُعدًا دلاليًّا ينسجم مع طبيعة الحدث العجيب.

أمّا بلاغيًّا، فإنّ افتتاح الآية بالمصدر (سُبحان) يُضفي على النّص جلالًا خاصًّا، ويجعل التنزيه مُقدّمة لازمة قبل ذكر المُعجزة ، كما أنّ اختيار الليل زمنًا للإسراء يُبرز عنصر المفاجأة ويعزّز الإحساس بالهيبة والقدرة الخارقة.

ودخول (المفعول فيه) هنا أحدث أثرًا دلاليًا مهمًا، إذ قُيّد الفعل بزمان محدد، فانتقل النّص من الإطلاق إلى التحديد، ما يزيد من الواقعية التاريخية ويُعمّق الإيحاء البلاغي[2].

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 5/8.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 10/15، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 646/2 بتصرّف.

وبناءً على آراء النّحاة والبلاغيين كون الظرف يُبيّن زمان وقوع الفعل، وأنّ التّنكير في الظرف يفتح مجال التّعظيم والتّكثير، يرى الباحث أنّ هذا الظرف ليس مُجرّد عنصر نحوي، بل هو جزء من البنية الدلالية والبلاغية التي تجعل النّص أكثر إحكامًا، إذ يربط بين التنزيه والحدث ويُؤكّد أنّ المعجزة وقعت في وقت مخصـــوص يُناسب طبيعتها، فيجمع بين الدّقة النّحوية والعُمق الدّلالي والبلاغي.

وأنّ المفاعيل في الآيات ليســت مُجرّد مكمّلات ثانوية، بل عنصــر إســنادي ودلالي محوري، يُبرز العلاقة بين الفعل الإنســـاني والجزاء الإلهي، ما يعكس دقّة البنية الإسنادية والدلالية والبلاغية للنّص القرآني.

ومن خلال التّحليل التطبيقي للآيات يتّضـــح أنّ المفاعيل لا تندرج تحت مُســمى (المســند والمســند إليه)، وهو ما دفع النّحاة إلى تســميتها (فضــلات) يُمكن الاستغناء عنها.

إلا أنّ التّطبيق العملي يُظهر أنّ هذه المكمّلات ليست زائدة أو ثانوية، بل هي عُنصر أساسي لاستكمال المعنى الإسنادي والدلالي.

فالمفعول به والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول فيه، وبقية المفاعيل على اختلاف أشكالها، تُسهم في توضيح نوع الفعل وتحديد الغاية، وإبراز العلاقة بين العمل والجزاء، وإضـــفاء توازن بلاغي على التّركيب، فحذف أي منها يُؤدّي إلى اختلال المعنى وفقدان البنية الإســنادية الدقيقة التي تعتمد عليها البلاغة القرآنية، ما يُؤكّد أنّ المفاعيل في النّص القرآني مكمّلات ضـــروريّة لا يمكن تجاهلها، حتى وإن بدا بعضـــها ثانويًّا من منظور النّحو المجرّد، إذ لا يكتمل المعنى في بعض الآيات بغير وجود المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41] فلو حذف لفظ الجلالة (الله) من التّركيب لغاب المقصــود ولم يعرف المذكور، ما يُبيّن أنّ المفعول به في مثل هذا الموضـــع رُكن دلالي لا يُمكن الاستغناء عنه.

وبذلك يميل الباحث إلى القول إنّ مفهوم (الفضلة) في النّحو العربي ينبغي أن يُعاد النّظر فيه في ضوء التفاعُل بين النّحو والدّلالة.

لذا فإنّ رأي النّحاة في اعتبارها (فضــلات) صــحيح من زاوية نحوية ضـيّقة، لكنّه لا يُعبّر عن قيمتها الوظيفية في السّـــياق، ولا يُراعي أثرها في المعنى والتأثير، وهو ما يُوجب إعادة النّظر في هذا التّصنيف، أو على الأقل توسيعه ليشمل الوظيفة الدلالية والبلاغية.

يتبيّن من خلال هذا المبحث أنّ المفاعيل تُعدّ من الركائز الأســـاس في بناء الجملة العربية، لما تُؤدّيه من دور نحوي ودلالي يُســـهم في ضـــبط المعنى وتوجيه المقاصـــد داخل التّركيب، وقد أظهر التّحليل النّحوي في (ســـور المســـبّحات) دقّة التوظيف الإسنادي للمفاعيل، إذ استخدمت بصورة تُحقّق التّوازن بين المعنى والمبنى، وتخدم المقاصد التّشريعية والتّربوية للسياق.

وأوضـحت الدّراسـة أنّ المفاعيل تتجاوز حدود الوظيفة الإعرابية لتؤدي وظيفة دلاليّة وبلاغيّة فاعلة، إذ تكثّف المعنى وتوجّه الانتباه إلى عناصـر مخصـوصـة دون الحاجة إلى أدوات تأكيد لفظيّة، ما يُبرز مرونة الجملة العربية وقدرتها على نقل العلاقات الإسنادية المعقّدة. كما أنّ غيابها يُؤدّي إلى خلل في المعنى وفقدان للتوازن البلاغي، ما يُؤكّد مكانتها في اكتمال البنية الدلالية للنّص القرآني واللغة العربية عامة.

وتُوصـــي الدراســـة بإعادة النّظر في تصـــنيف المفاعيل من منظور دلالي لا نحوي فحسب، ودعوة الباحثين إلى تتبّع حضورها في النّصوص غير القرآنية لرصد الفروق الأســـلوبية في توظيفها، مع اقتراح النّظر إلى المكمّلات النّحوية في النّص القرآني بوصـفها عناصـر بنائية تُسـهم في تحقيق الاتّسـاق الإسـنادي، لا فضـلات تركيبية زائدة.

المبحث الثاني
الحال في النّحو العربي

أوّلًا – مفهوم الحال في اللغة والاصطلاح

ثانيًا– أنواع الحال وآراء النّحاة فيها

ثالثًا – خصائص الحال

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

توطئة:

يندرج هذا المبحث ضمن الفصل المخصّص لمكمّلات الإسناد في الجملة العربية، وتُعدّ الحال من أبرز هذه المكمّلات لما لها من دور نحوي و دلالي وبلاغي في توضيح هيئة صاحب الفعل وإثراء المعنى.

وقد تنوّعت آراء النّحاة والبلاغيين في تعريفها وشروطها وأنواعها، ما يعكس ثراء هذا العنصر النّحوي، وقابليّته للتحوّل داخل السّياق التّركيبي والدّلالي.

وسُيتناول المبحث من خلال محورين رئيسين:

محور نظري يعرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية وأنواع وأحكام الحال مع شواهد قرآنية، ورأي الباحث، ومحور تطبيقي يُحلّل آيات من سور المسبّحات من النّواحي النّحوية والصّرفية والمعجمية والدّلالية والبلاغية، مع عرض آراء النّحاة والبلاغيين، وتعقيب الباحث على كل آية وعلى أثر التحوّل الإسنادي في بناء المعنى.

ويُعدّ الحال من المصطلحات التي تحمل دلالة لغوية غنيّة، وأبعادًا نحوية دقيقة، وقد تناوله علماء اللغة والنّحو بتفصيل يُبرز أهميته في بناء الجملة العربية وتشكيل معناها.

أوّلًا – مفهوم الحال في اللغة والاصطلاح:

مفهوم الحال في اللغة:

الحال في اللغة مأخوذة من مادة (حال)، وهي تدلّ على التغيير والانتقال، وقد ورد أنّ الحال أو الحالة هي الهيئة التي يكون عليها الإنسان أو الشيء، ويُقال في وصف الزمان والهيئة[1].

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (حال) : 188/1.

وهذا المعنى اللُغوي يُشـــير إلى أنّ (الحال) تدور حول الهيئة المؤقّتة التي يكون عليها الشيء، وهو ما يُمهّد لفهم وظيفتها النّحوية في الجملة.

أما في الاصـطلاح، فقد عرّف النّحاة الحال بأنّها: وصـف فضـلة يدلّ على هيئة صاحبه عند وقوع الفعل، ويكون منصوبًا، ويقع في جواب (كيف)، ويشترط فيه أن يكون نكرة مشتقّة غالبًا، وأنّ يكون صاحب الحال معرفة أو مخصّصًا[1].

ويُلاحظ أنّ هذا التعريف يركّز على الوظيفة النّحوية للحال، بوصـفه عنصـرًا مكمّلًا للجملة، يضـــفي عليها دقّة في التّصـــوير دون أن يكون جزءًا من الإســـناد الأصلى.

ويرى الباحث أنّ الجمع بين المفهومين اللغوي والاصـــطلاحي يُبرز الطبيعة المزدوجة للحال؛ فهو من جهة يحمل دلالة وصـــفيّة مؤقّتة ترتبط بالهيئة، ومن جهة أخرى يؤدّي وظيفة نحويّة دقيقة في الجملة، تسهم في توضيح المعنى وتحديد الصّورة البلاغية.

وهذا التداخُل بين الدّلالة والوظيفة يجعل الحال من أكثر المكمّلات الإسـنادية قابلية للتحوّل والتنوّع داخل السّـياق القرآني، ويُبرز أثره في بناء العلاقات الإسـنادية وتشكيل المعنى.

ثانيًا- أنواع الحال وآراء النّحاة فيها:

تُعد الحال من المكملات النّحوية التي تُبيّن هيئة صـــاحبها عند وقوع الفعل، وقد تناولها النّحاة بالبحث والتفصـيل، واختلفوا في بعض صـورها وشـروطها. خاصـة في مسـألة اشـتراط النّكرة والاشـتقاق، وجواز مجيء الحال جامدة أو معرفة. وتنقسـم الحال من حيث التّركيب إلى ثلاثة أنـواع رئيسـة: (المفرد، الجملة، شبه الجملة)، كما

(1) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 103/1.

تنقسم من حيث الصّيغة إلى مشتقّة وجامدة، وهي صور دار حولها خلاف بين البصريين والكوفيين، وقد جاءت شواهد القرآن الكريم والشّعر العربي لتُؤكّد سعة الاستعمال وتنوّعه، فالحال المفرد هو ما جاء كلمة واحدة منصوبة لتبيّن هيئة صاحب الحال عند وقوع الفعل، ومن شواهده قوله تعالى:

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 20]، فجاءت كلمة خائفًا حالًا مفردًا منصوبًا، بيّنت هيئة موسى – عليه السّلام – عند خروجه[1]، وكذلك قولنا عاد الفارس مُثقلًا بالجراح، حيث جاءت كلمة (مُثقلا) حالًا مفردًا منصوبًا، وتصف هيئة الفارس عند عودته.

أمّا الحال الجملة، فقد تأتي فعلية أو اسمية، بشرط أنّ تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال، مثل واو الحال أو الضمير، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: 16] فجملة (يبكون) فعلية في محل نصب حال، بيّنت هيئة الإخوة عند مجيئهم [2]، وكذلك قولنا: دخل الشاعر وهو يتغنّى بمجد الأجداد، فجملة (يتغنى بمجد الأجداد) في محل نصب حال، وقد ارتبطت بصاحب الحال بالواو والضّمير، وهي مثال يوضّح كيف تأتي الحال جملة اسميه أو فعلية حسب التّركيب الداخلي.

وأمّا الحال شبه الجملة، فهو ما جاء جارًا ومجرورًا أو ظرفًا، ومن شواهده[3] قوله تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات : 147]، فشبه الجملة (إلى مائة ألف) في محل نصب حال، يُبيّن هيئة الارسال، وقوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَى

---

(1) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ص235، ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 105/1.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 244/2.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 105/1.

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ [القصص : 79)، (في زينته) شبه جملة في محل نصب حال، وكذلك قولنا: (وقف الخطيب بين الجماهير)، فشبه الجملة (بين الجماهير) حال منصوب ، يصف هيئة الخطيب عند وقوفه.

ومما يُذكر في باب الحال أيضًا أنّ الأصل فيه أن يكون مشتقًا، إذ الغرض منه بيان هيئة صاحب الحال، غير أنّه قد يرد جامدًا مؤوّلًا بالمشتق، كما في قولنا: (رجع القائد أسدًا)، فالحال هنا اسم جامد، لكنّه مُؤوّل معنى (شجاعًا)، أي أنّ الجامد قد يُستعمل حالًا إذا دلّ على معنى الوصف.

وقد أثارت هذه الصورة خلافًا بين النّحاة، إذ ذهب (سيبويه) إلى منع مجيء الحال جامدًا إلا إذا كان مؤوّلًا بالمشتق [1]، بينما أجاز (ابن الناظم) مجيئه إذا دل على الهيئة أو كان مؤوّلًا [2] ووافقه (ابن هشام) حيث قبل الحال الجامد إذا فهم منه معنى المشتق أو دلّ على هيئة واضحة[3].

وهو بذلك يلتقي مع رأي سيبويه في اشتراط التأويل أو الدّلالة على الهيئة وإن كان أكثر تفصيلا في الصّور المقبولة.

أمّا الحال المعرفة ، فقد شدّد البصريون على منعها، واشترطوا أنّ تكون الحال نكرة؛ لأنّ الأصل فيها التنكير، بينما أجازها الكوفيون في بعض المواضع إذا دّل السّياق على الهيئة، وهو ما يعكس تساهلهم في هذا الباب مقارنة بالبصريين، ما يُبرز اتّساع دائرة الخلاف النّحوي في هذا الموضوع[4].

وبعد استعراض أنواع الحال كما وردت في كتب النّحو، تبيّن للباحث أنّ هذا التقسيم الثلاثي (المفرد، الجملة، شبه الجملة) لا يقتصر على الجانب التّركيبي

---

(1) ينظر: الكتاب: 61/2.

(2) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 228/1.

(3) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 254/2.

(4) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 296/2.

فحسب، بل يعكس أيضًا مرونة اللغة العربية في التعبير عن الهيئة، سواء من خلال كلمة واحدة أو تركيب أوسع، كما يظهر من خلال الخلاف بين النّحاة في بعض صور الحال تباين في المنهج بين المدرستين البصرية والكوفية، فالبصريون يميلون إلى التقيّيد والضبط، بينما يُظهر الكوفيون مرونة أوسع في قبول الصّور غير المألوفة، وهو ما يعكس اختلافًا في النّظر إلى طبيعة اللغة: هل هي قياسية أم سماعية في المقام الأول؟.

ويرى الباحث أنّ ما ذهب إليه ابن هشام وابن عقيل من قبول الحال الجامدة إذا دلّت على هيئة مفهومة من السّياق، هو رأي يجمع بين الضّبط النّحوي والمرونة الدّلالية، ويُراعي واقع الاستعمال العربي في القرآن الكريم والشّعر، ما يجعله أليق بالاعتماد في هذا الباب.

ثالثًا – خصائص الحال:

تتميز الحال في الجملة العربية، بجملة من الخصائص النّحوية والدّلالية، كما يشترط النّحاة توفّر عدد من الضّوابط التّركيبية لقبولها في السّياق، وفيما يلي عرض لأبرز هذه الخصائص والشروط، كما وردت في كتب النّحو:

أ. الخصائص النّحوية والدّلالية:

1. الفضلية:

الحال فضلة لا عمدة، أي يمكن حذفها دون أن يختلّ التّركيب النّحوي، وقد أشار (ابن عقيل) إلى ذلك بقوله:

"وخرج بقوله فضلة الوصف الواقع عمده نحو زيد قائم"[1].

2. الدّلالة على الهيئة:

يُشترط أن تكون الحال مفهومة في سياق الهيئة، أي تبيّن كيفيّة وقوع الفعل[2].

---

(1) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 242/2.

(2) ينظر: المصدر السابق: 243/2.

3. الارتباط بصاحبها:

يُشترط أن ترتبط الحال بصاحبها إما بالضمير أو بالسّياق، خاصة في الحال الجملة وشـــبه الجملة، وهو ما أشـــار إليه (ابن الناظم) عند تحليل الجمل الفعلية والاسمية[1].

ب. الشروط التّركيبية:

1. أن تكون نكرة:

اشــترط النّحاة أن تكون الحال نكرة منعًا للبس، وقد بيّن (ابن عقيل) ذلك عند شرح صور الحال المفردة[2].

2. أن تكون مشتقّة أو مؤوّلة بالمشتق:

الغالب أن تكون الحال مشــتقّة، لأنّها تُعبّر عن هيئة متجدّدة ويجوز أن تأتي جامدة إذا دلّت على الهيئة أو كانت مؤوّلة مثل:

جاء زيد أسدًا، أي شجاعًا[3].

3. أنّ تتأخر عن صاحبها وعاملها:

الأصل أن تتأخّر الحال، ويجوز تقديمها بشروط، منها أمن اللبس، وقد ذهب الكوفيّون إلى تقديم الحال على الفعل العامل فيها إذا كان الاســـم ظاهرًا، بينما أجاز البصريّون ذلك مُطلقًا مستدلّين بالقياس والنقل[4].

---

(1) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 227/1.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 244/2.

(3) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 228/1.

(4) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 203/1.

4.وقوعها في جواب (كيف):

تســـتخدم الحال للإجابة عن ســـؤال (كيف؟). ما يُبرز وظيفتها الدلالية في تحديد الهيئة الزمنيّة أو الحسّية لصاحبها[1].

5.جواز حذف الحال إذا دلّ عليها السّـياق كما في الأســاليب البلاغية التي تعتمد على الإيجاز، وذلك لأنّها فضـلة لا تُؤثّر في أصـل الإسـناد، ما لم يُؤدّ حذفها إلى فساد المعنى أو الاخلال بالتّركيب[2].

ويرى الباحث أنّ الخصـــائص التي تُميّز الحال عن غيرها من المكمّلات النّحوية تُظهر وظيفتها الدقيقة في الجملة العربية، فهي ليسـت مُجرّد فضـلة تُضـاف إلى التّركيب، بل عنصـر دلالي يُسـهم في تصـوير المشـهد وتحديد هيئة الفاعل أو المفعول.

كمـا يلاحظ أنّ بعض مـا يُعدّ من الخصـــائص في كتب النّحو، كـالنكرة والاشـتقاق هو في حقيقته شـروط تركيبيّة، لا خصـائص دلالية، ولذلك قسـم المطلب على قسمين خصائص وشروط تحقيقًا للدقّة المنهجية.

ويرى الباحث أنّ اشـتراط النّكرة والاشـتقاق وإن كان له أصـل في المدرسـة البصـرية، لا ينبغي أن يُفهم على سـبيل الإطلاق، بل يجب النّظر إلى السّـياق، كما فعل (ابن الناظم وابن هشام)، اللذان قبلا الحال الجامدة والمعرفة إذا دلّت على الهيئة أو قامت قرينة على معناها.

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

بعد عرض المفاهيم النّظريـة المتعلّقـة بـالحـال من حيث التعريف، والأنواع، والخصـائص، ينتقل البحث إلى دراسـة تطبيقية في سـور المسـبّحات، بهدف الوقوف

---

(1) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدي، ص196.

(2) ينظر: المنهاج المختصر في علمى النحو والصرف: 105/1.

على صور الحال كما وردت في النّص القرآني، وتحليلها نحويًا ودلاليًا، وفق ما تقرّر في المباحث السابقة، ونبدأ ذلك بقوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء من الآية: 18]، يرى الباحث أنّ هذه الآية تقدّم أنموذجًا نحويًا وبلاغيًا مركبًّا للحال، يجمع بين حالين ظاهرين (مَذْمُومًا ومّدْحُورًا) وحال مقدّرة تُفهم من السّياق وهي (داخلًا فيها) أو (واردًا عليها)، كما أشار بعض النّحاة في كتب الإعراب[1].

وقد أشار (ابن عثيمين) إلى أنّ تعدد الحال جائز إذا اختلفت الهيئة[2]،

وهو ما يتحقّق في هذه الآية، حيث تدل الحال الأولى على الذّم الأخلاقي، والثانية على الطّرد والإبعاد المكاني، إذ تُصوّر الهيئة التي يُصلى بها صاحب العاجلة، وهي هيئة الذّم والطّرد، ما يُضفي على التّركيب بُعدًا بلاغيًا ونفسيًّا.

وهذا التّركيب يُعدّ من صورة الحال المفردة، حيث ورد بصيغة اسم مفعول، ما يُحقق شرط الاشتقاق الذي اشترطه النّحاة في الحال[3].

ومن جهة صرفيّة (مذموم) مشتق من الفعل الثلاثي (ذمّ) على وزن (مفعول)، و(مدحور) من (دحر) بنفس الوزن، وكلاهما يدلّ على هيئة معنويّة تُرافق الفاعل في لحظة وقوع الفعل.

وقد ورد أنّ (الذّم) هو الطعن والعيب، ويُقال: ذَمّه يَذمّه ذَمًّا، (دحر) هو الطّرد والابعاد، ويُقال: دحره دحرًا، أي أبعده وأهانه[4].

---

(1) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 407/5.

(2) ينظر: شرح ألفيه ابن مالك: 408/2.

(3) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 104/1، (أحكام الحال) .

(4) ينظر: لسان العرب، مادة (ذمّ) : 380/1، مادة (دحر) : 278/4.

وهذا يعزّز البعد الدّلالي في الآية، حيث يُصـوّر المصـير الذي يلقاه من أراد العاجلة، إذ يُعجّل له فيها ما يشاء الله، ثم يُلقى في جهنّم في حال من الذّم والطّرد[1].

ما يُضفي على النّص طابعًا تحذيريًّا وتوبيخيًّا.

ومن النّاحية البلاغية، فإنّ اسـتخدام الحالين المتتابعين (مذمومًا مدحورًا) يُعدّ من باب التّوكيد المعنوي، حيث يُكرّر المعنى بأسـلوب تصـويري يُبرز شـدّة العقوبة، ويضفي على السّياق القرآني بُعدًا نفسيًّا وإنذاريًّا[2].

ويرى الباحث أنّ الحال في هذه الآية تجسّـد تحوّلا دلاليًا في العلاقات الإسـنادية، حيث لم تسـتخدم لتصـوير هيئة جسـديّة أو حركيّة، بل لتصـوير حالة معنويّة ونفسـيّة ترافق الفعل (يصـلاها) وهذا يُبرز أنّ الحال في القرآن الكريم ليسـت مُجرّد مكمّل نحوي، بل أداة بلاغيّة تسـهم في بناء المعنى وتكثيفه، وتُظهر كيف أنّ العلاقات الإسـنادية تتوسّـع لتشـمل البعد النّفسـي والمعنوي، ما يُحقّق غرضًـا تحذيريًّا في السّياق القرآني.

وفي سـياق الحديث عن الحال بوصـفها مكمّلًا إسـناديًّا يُسـهم في بناء المعنى داخل الجملة القرآنية، تتجلّى وظائفها البلاغية والدلالية في تصـوير الهيئة النفسـية أو الحسّـية التي ترافق الفاعل أو المفعول به عند وقوع الحدث، وقد تنوّعت صـور الحال في القرآن الكريم بين المفرد والجملة، وشـبه الجملة، ما يُبرز مرونة التّركيب العربي في التعبير عن المعـاني الـدقيقـة، ومن النّمـاذج التي تُظهر هـذا التنوّع مـا ورد في (سورة الحشر)، في قوله تعالى:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر، من الآية: 14].

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 409/17.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 581/15.

تُظهر هذه الآية تركيبًا نحويًّا يتضـــمن جملة اســـمية حاليّة في قوله تعالى: ﴿وقلوبُهم شـــتّى﴾، حيث جاءت الجملة في محل نصـــب حال من الضـــمير في (تحسبهم)، أي تحسبهم مجتمعين في الظاهر، وقلوبهم متفرّقة في الحقيقية.

ما يدلّ على أنّ الجملة الاســـمية حاليّة، تُبيّن التناقض بين الصـــورة الظّاهرة والواقع الباطن[1].

وهذا النوع من الحال يُعدّ من الجمل الاســـمية التي تعبّر عن هيئة معنوية استخدمت لتصوير البُعد النفسي للجماعة.

وقد ورد الحال المفرد (جميعًا) في الآية دالًا على كونهم مُجتمعين[2].

(شـــتّى) اســـم مشـــتق من مادة (ش ت ت)، وهي صـــيغة تدلّ على التفرّق والتّشتت، وتُعدّ من الصّفات التي تُستعمل للدّلّالة على التّباين، وهي غير قابلة للتثنية أو الجمع؛ لأنّها تدلّ على التفرّق في الأصل.

أمّا من جهة المعجم، فقد ورد أنّ (شـــتّى) بمعنى متفرّقة، ويقال: (قلوب القوم شتى) أي كل في جهة[3].

والدّلالة السّياقية للآية تُظهر أنّ الحال هنا تُستخدم لتصوير التناقض الداخلي في الجماعة، فظاهرهم الوحدة، وباطنهم الفُرقة، ما يُضـــفي على النّص بُعدًا نفســـيًّا واجتماعيًّا، وقد أشـــار (الزمخشـــري) إلى أنّ هذا الأســـلوب يُبرز المفارقة بين الظاهر والباطن، ويُعزّز من وظيفة الحال في كشف الحقيقة الخفيّة[4].

---

(1) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 51/10.

(2) ينظر: المصدر السابق: 51/10.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (شتى) : 48/2.

(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 507/4.

كما يرى (ابن عاشور) أنّ الجملة الحاليّة تُسهم في بناء المعنى السياسي والاجتماعي، إذ تُظهر أنّ التجمّع الظّاهري لا يُعبّر عن وحدة حقيقيّة بل عن تكتّل هشّ[1].

ويرى الباحث أنّ الحال في هذه الآية تُجسّد تحوّلًا في العلاقات الإسنادية، حيث استخدمت الجملة الاسمية لتصوير هيئة معنوية داخلية، تُناقض الصّورة الظاهرة التي يُوحي بها الفعل (تحسبهم)، وهذا يُبرز أنّ الحال في القرآن الكريم تُسهم في كشف البنية النفسيّة للجماعة، وتُظهر كيف أنّ الإسناد يتجاوز البنية النّحوية إلى البنية الدّلالية والبلاغية، ما يُحقّق أثرًا بلاغيًا في بناء المعنى القرآني.

وبعد أن ظهرت الحال بنوعيها المفرد والجملة الاسمية في آيتي (الإسراء والحشر)، تبرُز الحال بصيغة الجملة الفعلية في (سورة الجمعة)، في سياق تصوير هيئة تمثيليّة تعبّر عن المفارقة بين الحمل المعرفي والحمل الفعلي، وذلك في قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة، من الآية: 5].

الجملة الفعلية (يحمل أسفارا) في محل نصب حال من (الحمار)، وهي تبيّن الهيئة التي يُشبّه بها من حُمّل التوراة ولم يعمل بها، أي كالحمار الذي يحمل كتبًا لا يفقه منها شيئًا.

(يَحملُ) فعل مضارع مرفوع، و(أسفارًا) مفعولًا به منصوب، وهي جمع (سِفر) وهو الكتاب[2]، وقد ورد أنّ (السِفر) هو الكتاب، ويُقال: (أسفار القوم) أي كتبهم، و(حمل الأسفار) كناية عن حمل العلم دون فهم[3].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 106/28.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 90/10.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (سِفر) : 370/4.

وتُظهر الدّلالة السّياقية أنّ الحال هنا تُستخدم لتصوير هيئة تمثيليّة، تُعبّر عن المفارقة بين الحمل الظاهري للعلم، وعدم الانتفاع به.

وأشار (الزمخشري) إلى أنّ هذا التشبيهُ يبرز التّناقُض بين الظّاهر والباطن، ويُظهر أنّ مُجرّد حمل الكتاب لا يُغني عن العمل به[1].

ويرى (ابن عاشور) أنّ الجملة الحاليّة تُسهم في بناء المعنى التوبيخي، إذ تُظهر أنّ من كذّب بآيات الله يُشبّه بالحمار الذي يحمل كُتبًا لا يفقهها[2].

ويرى الباحث أنّ الحال في هذه الآية تُجسّد تحولًا بلاغيًا في العلاقات الإسنادية، حيث تُستخدم الجملة الفعلية لتصوير هيئة تمثيليّة، وهذا يُبرز أنّ الحال في القرآن الكريم تُسهم في بناء المعنى النّقدي والتّقويمي، وتُظهر كيف أنّ الإسناد يتجاوز الوظيفة النّحوية إلى الوظيفة الدّلالية والبلاغيّة، ما يُحقّق أثرًا توبيخيًّا في السّياق القرآني.

وهكذا تستمر دراسة الحال في الآيات دون انقطاع، حيث يظهر مرة أخرى مثال على الحال المحذوفة التي دلّ عليها وجود شبه الجملة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾ [الإسراء : 13].

جاءت الواو عاطفة، (كلّ) مفعولًا به لفعل مضمر يُفسّره ما بعده، وهو منصوب وعلامة نصبه الفتحة، (إنسان) مضاف إليه مجرور، (ألزمناه) فعل ماضٍ مزيد بالهمزة على وزن (أفعل)، والفاعل الضمير (نا)، و(الهاء) ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، (طائره) مفعول به ثانٍ منصوب ومضاف، (الهاء) ضمير متّصل في محل جر بالإضافة.

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 530/4.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 213/28.

(في عنقه) جار ومجرور متعلّق بالفعل (ألزمناه) ويمكن أن يكون دالًا على حال محذوفة تقديرها (كائنًا في عنقه)، وهو الوجه الذي رجّحه بعض النّحاة لما فيه من قوّة الدّلالة على الملازمة[1].

ومن النّاحية الصّـــرفية (ألزمناه) فعل ماضٍ من الجذر (لزم) مزيد بالهمزة، (طائر) اسـم فاعل من (طار)، لكنّه مسـتعمل هنا مجازًا بمعنى عمل الإنسـان أو ما قدّر له من خير أو شــر، و(عنق) اســم جامد مفرد، جمعه (أعناق) وهو من الألفاظ التي تُستعمل في اللغة للدلالة على موضع القلادة أو الربط.

أمّا من الناحية المعجمية، فقد ورد أنّ (العُنق) وصـلة ما بين الرأس والجسـد، ويســـتعمل مجازًا للدلالة على الملازمة والارتباط الوثيق، لأنّه موضـــع القلادة أو الطوق،[2] وهذا المعنى المعجمي يُفسّر اختيار العنق في الآية، إذ هو الموضع الذي يُشد فيه الشيء فلا ينفك.

والحال المحذوفة التي دلّ عليها شـــبه الجملة (في عنقه) توضّـــح أنّ عمل الإنسـان ملازم له ملازمة القلادة للعنق، لا ينفك عنه ولا يزول، وهو تصـوير لحقيقة أنّ الإنسان لا ينفصل عن عمله في الدنيا والآخرة[3].

وهذا الوجه يُضـيف معنى اللزوم الحتمي، ويجعل الصّـورة أكثر قوّة من مجرّد التّعلق بالفعل (ألزمناه) لأنّ الحال تصـف هيئة الطائر نفســه، لا مجرّد فعل الإلزام، فالتعبير (في عنقه) يُحقّق صورة حسيّة قويّة، إذ يُشبّه بالطّوق أو القلادة التي لا تنفك عن العنق، ما يُبرز شدة الالتصاق والارتباط[4].

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 20/8.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة(عنق) : 272/10.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 400/17.

(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 652/2.

أمّا كون الحال محذوفة يُحقّق الإيجاز مع الإيضـاح، حيث يُترك للسـامع أن يتصوّر المشهد بنفسه، فيزداد تأثيره النّفسي.

كما أنّ اختيار (العنق) دون غيره من أعضاء الجسد يُوحي بالثّقل والشّدة، لأنّ العنق موضـع وثيق الصّـلة بين الرأس والجسـد، فإذا شُـدّ فيه شـيء دلّ على الأسـر واللزوم[1].

وبناءً على آراء النّحاة والبلاغيين، فإنّ الوجه الأقوى هو اعتبار (في عنقه) متّصـلًا بحال مخدوفة من (طائره)، تقديرها (كائنًا في عنقه)، لما تُضـيفه من دلالة الملازمة وتجعل الصورة أكثر قوة وتأثيرًا في المتلقي.

كما نجد الحال شبه الجملة في قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ... ﴾[الإسراء، من الآية : 44].

حيث جاء الجار والمجرور (بحمده) في محل نصـــب حال، والتقدير (حامدًا لله) [2]، وهذا الأسلوب يُصوّر هيئة التسبيح المقرون بالحمد، ويبيّن أنّ الفعل (يُسبّح) لا يقع مجرّدًا، بل هو مقرون بالحمد دائمًا، ما يُضفي على النّص بُعدًا تعبديًّا وروحيًّا ويُؤكّد أنّ التسبيح في القرآن الكريم مرتبط بالثناء والتمجيد.

ومن النّاحية الصّـرفية، فإنّ الفعل (يُسـبّح) مأخوذ من الجذر (س ب ح) على وزن (يُفعّل)، وهو دالٌّ على الاســـتمرار والتجدّد، بينما (الحمد) مصـــدر على وزن (فَعْل) يدلّ على الثّناء.

واقتران الباء به يُفيد المصـــاحبة والملابســـة لا المعيّة المطلقة، ولذلك رفض بعض البلاغيين إعرابه مفعولًا لأجله وأكدوا أنّه حال[3].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 49/15.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 448/5.

(3) ينظر: المصدر السابق: 449/5.

أمّا من النّاحية الدّلالية، فإنّ اجتماع (إن) النافية مع (من) الزائدة ثم الاستثناء المفرغ يُحقّق معنى الحصر والاستغراق، فلا يوجد موجود إلا وهو واقع عليه وصف التسبيح[1].

والحال هنا يرفع الإبهام عن هيئة هذا التّسبيح ويُبيّن أنّه مقترن بالحمد، ما يعمّق المعنى ويجعله أكثر شمولًا بلاغيًّا.

ويُبرز هذا التّركيب قوّة الاستغراق والتوكّيد، إذ إنّ كل شيء في الكون يُسبّح، لكن الهيئة التي يُسبّح بها هي حال مُصاحبة بالحمد، وهو ما يُضفي على المشهد الكوني صورة متكاملة تجمع بين التّنزيه والثناء[2].

كما أنّ الاستدراك في قوله تعالى:

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، يُبيّن قُصور الإدراك البشري عن فهم كيفية التّسبيح، ما يُبرز الفجوة بين الواقع الكوني والوعي الإنساني، ويُؤكّد أنّ الحال هنا ليست مُجرّد عنصر نحوي، بل لها أثر دلالي وبلاغي في بناء المعنى[3].

وبذلك يُمكن القول أنّ إعراب (بحمده) على أنّه حال هو الأوجه، لأنّه ينسجم مع سياق النّحو والبلاغة والدّلالة، ويعكس طبيعة المصاحبة المستمرة بين التسبيح والحمد.

يتبيّن من خلال النّظر في الآيات أنّ الحال في القرآن الكريم لا يقتصر على كونه مكمّلًا إعرابيًّا للفعل أو الفاعل، بل يتجاوز ذلك ليُؤدّي وظيفةً دلاليةً وبلاغيّةً عميقةً، ففي قوله تعالى:

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 455/17.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 114/15.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 652/2.

﴿ مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: 18]، وردت الحال مفردة مشتقّة لتصوير الهيئة النّفسية والمعنوية التي يصلى بها صاحب العاجلة، ما يُضفي على النّص بُعدًا تحذيريًّا وتوبيخيًّا.

وفي قوله تعالى: ﴿وقلوبهم شتّى﴾ [الحشر: 14]، جاءت الحال جملة اسمية لتكشف عن التّناقض بين الصّورة الظّاهرية والواقع الباطني، وتظهر أنّ الوحدة الظاهرية لا تُخفي التشتت الداخلي، وهو ما يحقّق أثرًا نفسيًا واجتماعيًا.

أمّا قوله تعالى ﴿يحمل أسفارًا﴾ [الجمعة: 5]، فقد وردت الحال جملة فعلية لتصّور هيئة تمثيلية تعبّر عن المفارقة بين حمل المعرفة وعدم الانتفاع بها، ما يُضفي على النّص طابعًا تقويميًا وتوبيخيًا.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13]، جاء شبه الجملة جارًا ومجرورًا، دالًا على حال محذوفة تقديرها (كائنًا أو مستقرًا في عنقه)، وهو ما يُبرز صورة الملازمة الحتميّة لعمل الإنسان له.

وفي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44].

ورد الجار والمجرور في محل نصب حال، والتقدير (حامدًا لله) ليُصوّر هيئة التسبيح المقرون بالحمد، ما يُضفي على النّص بعدًا نفسيًا وروحيًا.

هذا التنوّع في صور الحال، بين المفردة والجملة الاسمية والجملة الفعلية وشبه الجملة (المحذوفة والمقدّرة) يُبرز مرونة التّركيب العربي في التعبير عن الهيئة المصاحبة للفعل أو الفاعل، ويُؤكّد أنّ الحال في القرآن الكريم يُمثّل تحوّلاً نوعيًا في وظيفة المكمّلات الإسنادية، إذ يُستخدم لتصوير الهيئة النّفسية أو التناقض الداخلي أو المفارقة التّمثيلية أو الملازمة الحتميّة أو التّسبيح الحامد، ما يجعل الحال أداة توجيه دلالي وبلاغي تُسهم في تكثيف المعنى، وإبراز المقصد القرآني، وتُظهر التّداخل بين النّحو والبلاغة في خدمة النّص.

يتّضـــح في ختام هذا المبحث أنّ الحال في القرآن الكريم تتجاوز وظيفتها النّحوية بوصـفها فضـلة تركيبيّة، لتُصـبح عنصـرًا بنائيًا فاعلًا في تشـكيل المعنى وتوجيهه.

فقد أظهرت الدراسـة أنّ الحال تُسـهم في تصـوير الهيئة النّفسـية والاجتماعية والتّمثيليّة، وتُبرز المفارقة بين الظاهر والباطن ما يُؤكّد أنّها أداةٌ دلاليةٌ وبلاغيّةٌ تُكثّف المعنى وتوجّهـه، وبهـذا يتجلّى دور الحـال في القرآن الكريم نموذجًـا حيًّـا لتحوّل مكمّلات الإسناد من وظائف تركيبيّة إلى أدوات دلاليّة تخدم المقصد القرآني وتكشف عن عُمق النّص وثرائه البلاغي.

المبحث الثالث
التّمييز وأنواعه

أوّلًا– مفهوم التّمييز في اللغة والاصطلاح

ثانيًا– أنواع التّمييز وآراء النّحاة فيه

ثالثًا– خصائص التّمييز

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات

توطئة:

يُعدّ التّمييز من أبرز مكمّلات الإسـناد في الجملة العربية، إذ يُسـهم في رفع الإبهام عن أحد عناصر الجملة، ويُحدّد المقصود من الكميّة أو الذّات أو النّسبة، ما يجعله مكوّنًا دلاليًا لا غنى عنه في كثير من التراكيب وقد أولاه النّحاة عناية خاصة، فبيّنوا مواضعه، وأنواعه، وشروطه، وأثره في المعنى، كما أشار البلاغيون إلى دوره في توضيح المقصود وتكثيف الدّلالة.

وفي إطار دراسة أثر تحوّل العلاقات الإسنادية ومكمّلاتها في الجملة العربية، يأتي هذا المبحث من الفصل الثالث ليُسلّط الضّوء على (التّمييز) بوصفه مكمّلًا إسناديًّا، من خلال تتبّع مفهومه، وأنواعه، وخصائصه، ثم تحليل أمثلة تطبيقيّة من السّور المسبّحات تُبرز موقعه النّحوي ووظيفته الدّلالية والبلاغية.

وينقسم هذا المبحث على أربعة مطالب رئيسة:

- مفهوم التّمييز في النّحو العربي، وأنواع التّمييز، وخصائص التّمييز، وأمثلة تطبيقية من السّور المسبّحات.

أوّلًا- مفهوم التّمييز في اللغة والاصطلاح:

يُشتق لفظ (تمييز) من المادة اللغوية (م ي ز)، التي تدلّ على الفصل والإبانة والتّفريق بين الأشياء، وقد ورد أنّ (مَازَ الشيء) يُميّزه ميزًا، وميّزه: فرّقه وبيّنه من غيره، والتّمييز مصدر ميّز الشيء أي فصله وبيّنه[1].

وهذا الأصل اللغوي للتمييز يُعزّز فهمنا لوظيفته النّحوية، إذ إنّ التّمييز لا يُضيف معنىً جديدًا بقدر ما يُفكّك الغموض، ويُحدّد المقصود، ما يجعله أداة تفسيرية داخل البنية الإسنادية.

أمّا من الناحية الاصطلاحيّة، فقد عرّف النّحاة التّمييز بأنّه:

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (مَيَزَ) .

"اسم فضلة نكرة جامد مُفسّر لما انبهم من الذّوات وهو من المنصوبات"[1]، أي أنّه اسم نكرة منصوب يُذكر لرفع الإبهام عن لفظ أو نسبه سابقة.

ويقول (الجرجاني) أنّه: "ما يرفع الإيهام المستقر عن ذات مذكورة"[2].

وعليه فإنّ التّمييز في الاصطلاح النّحوي هو:

اسم نكرة منصوب يُذكر لتوضيح المقصود، ورفع الإبهام إما عن ذاتٍ أو عن نسبة، فيبيّن حقيقة المراد بعد غموض المعنى أو اشتراكه.

ويُلاحظ من خلال التأمّل في المفهومين اللُغوي والاصطلاحي أنّ بينهما علاقة تلازم واتّساق دلالي ووظيفي؛ فالمعنى اللغوي القائم على الفصل والإبانة والتفريق بين الأشياء قد انتقل في الاصطلاح النّحوي إلى وظيفة أدقّ، هي رفع الإبهام عن المعنى وتوضيح المقصود في التراكيب اللغوية.

ومن ثمّ، فإنّ التّمييز في النّحو العربي يُجسّد امتدادًا طبيعيًا لمادته اللغوية، إذ ظلّ محتفظًا بجوهر دلالته الأصيلة؛ وهي الإيضاح والإبانة، غير أنّه خُصّص في المجال النّحوي لتفسير ما قد يكتنف الكلام من غموض أو اشتراك في المعنى.

ويرى الباحث أنّ هذا الاتّساق بين الأصل اللغوي والاستعمال النّحوي يبرهن على عمق التّرابط بين البنية الدّلالية والمعنى التّركيبي في العربية، وهو ما يجعل التّمييز من أهم أدوات الإيضاح ومكمّلات الإسناد في الجملة العربية.

ثانيًا- أنواع التّمييز وآراء النّحاة فيه:

1. أنواع التّمييز:

يُقسّم التّمييز في الاستعمال العربي إلى قسمين رئيسين، هما:

تمييز المفرد أي الذّات، وتمييز النّسبة أي الجملة.

---

(1) شرح قطر الندى وبل الصدى: 237/1.

(2) التعريفات: 66/1.

- **تمييز الذّات:**

وهو الذي يرفع الإبهام عن لفظ مفرد قبله، وغالبًا ما يكون هذا المفرد عددًا أو مقدارًا أو وزنًا أو كيلًا أو مساحةً، ويكون نكرة منصوبة ويأتي بعد المبهم مباشرة ليبيّن حقيقة ذلك المفرد ويوضّح المراد منه[1]، مثل قولنا:

عندي عشرون درهمًا، ونحو قوله تعالى:

﴿إِنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة : 36].

فالتّمييز (درهمًا، وشهرًا) يوضّح المبهم وهو العدد.

- **تمييز النّسبة:**

وهو الذي يرفع الإبهام عن نسبة أو جملة سابقة، أي يوضّح العلاقة بين المسند والمسند إليه، وذلك نحو قوله تعالى:

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 3].

فالتّمييز (شَيْبًا) يوضّح ما الذي اشتعل من الرأس، وهو محوّل عن فاعل، وكذلك قوله تعالى:

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: 12].

فالتّمييز (عيونًا) يُوضّح ما الذي فُجّر من الأرض، وهو محوّل عن مفعول[2].

وبذلك يتّضح أنّ التّمييز يُؤدي وظيفتين أساسيتين:

بيان المفرد المبهم، أو توضيح النسبة الغامضة في الجملة، وهما معًا يُحققان الغرض الأساس من التّمييز وهو إزالة الإبهام وتوضيح المعنى.

---

(1) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك: 287/2.

(2) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 336/2.

2. آراء النّحاة في التّمييز:

يُعدّ التمييز من المكمّلات النّحويّة التي تُسهم في توضيح المعنى وتفسير المبهم في الجملة، وقد تناوله النّحاة منذ زمن سيبويه، وتعددت طرائقهم في تقسيمه وتحليله، لكنّهم اتّفقوا على أنّه اسم نكرة منصوب يُزيل الإبهام عن مفرد أو نسبه.

وقد أشار سيبويه (ت 180هـ) إلى هذا المفهوم ضمن باب النّصب على التفسير ومثّل له بـ (عشرون درهمًا) ، وهو ما يُعدّ من أوائل الإشارات إلى ما يُعرف لاحقًا (بتمييز الذّات)، حيث يُفسّر المبهم في الكميّة أو المقدار، ويعمل فيه ما قبله من عدد أو غيره[1].

وبعد سيبويه جاء المبرد (ت285هـ)، ليفرد بابًا خاصًا للتّمييز مبيّنًا مواضعه في العدد والمقدار، وبيّن أنّ التّمييز يُفسّر المبهم من الكيل والوزن والعدد، وهو منصوب على التفسير لأنّه يُبيّن المقدار، وهو بذلك يُقرّ بفضلية التّمييز من حيث الإسناد، ويُقرّ بأهميته من حيث المعنى، ويُعدّه من تمام الدّلالة[2].

ثمّ تطوّر النّظر في التّمييز عند ابن جني (ت 392 هـ)، الذي خصّص له بابًا مستقلًا، ووسع دائره البحث فيه وفصّل تمييز العدد والمقادير، وقسّمه إلى ممسوح ومكيل وموزون، مع أمثلة دقيقة فكشف (ابن جني) عن مرونة التّمييز التّركيبيّة والدّلالية[3].

أما السيوطي (ت 911هـ)، فقد جاء بعد ذلك بقرون، فجمع ما سبقه من آراء وأضاف تفصيلات جديدة، حيث عرض أنواع التّمييز، وأمثلة متنوّعة من القرآن الكريم

---

(1) ينظر: الكتاب: 168/2 – 172.

(2) ينظر: المقتضب: 32/3.

(3) ينظر: اللمع في العربية: 64/1.

واللغة، ما يُظهر تنوّع السّـــياقات التي يرد فيها التّمييز، ســـواءً لتفســـير الذات أو النّسبة[1].

ومن خلال هذه الآراء المتتابعة يتّضـــح أنّ النّحاة وإنّ اتفقوا على الأُســـس الكبرى للتمييز، فقد اختلفوا في بعض جزئيّاته وتفصـــيلاته ما يعكس ثراء الدّرس النّحوي العربي.

ويرى الباحث أنّ هذا التّعدد في الآراء يُبرز ثراء الفكر النّحوي ويُظهر التّمييز كعنصر مرن يتجاوز الوظيفة النّحوية إلى الدّلالة البلاغية، ويستحق أنّ يُدرس ضمن مكّمّلات الإسناد التي تُثري التّركيب العربي وتُعزّز دقّته التّعبيرية.

كما يخالف الباحث التّصنيف التّقليدي للتمييز بوصفه (فضلة)، ويقترح اعتباره مكمّلًا دلاليًا يسـهم في بناء المعنى وتوجيه المقاصـد، لا مُجرّد عنصـر زائد يُضـاف بعد اكتمال الإسناد.

ثالثًا- خصائص التّمييز:

ينفرد التّمييز في النّحو العربي بجملة من الخصـــائص النّحوية والدّلالية التي تحدّد موقعه في الجملة، وتُبرز وظيفته التّفســـيرية، وقد اتّفق النّحاة على أنّ التّمييز يجب أنّ يكون اسمًا نكرةً منصوبًا، وأنّ يكون فضلةً لا يؤثّر حذفه في التّركيب، لكنّه يُضعف المعنى ويبقيه غامضًا.

ومن هنا يمكن إجمال خصائص التّمييز في الآتي:

1. منصوب دائمًا فكل أنواع التّمييز منصوبة
2. يأتي بعد الاسم المبهم غالبًا لتوضيح الغامض وإزالة الإبهام[2].

(1) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 336/2.

(2) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 253/1.

3. مستقل دلاليًا فيوضّح معنى الاسم المبهم ولا يغيّر معنى الجملة الأساسية[1].

ويمكن أنّ يكون مفردًا أو جملة، ووظيفية الأساسية البيان أي أنّه أداة بيانية لرفع الغموض عن الاسم المُبهم[2]، ومرن في موقعه[3]، فبعض النّحاة يوافقون على تقديمه في حالات خاصّة إذا توفّرت شروط.

واعتمادًا على المصادر النّحوية يتّضح أنّ التّمييز منصوب دائمًا، ومُستقل دلاليًا، ووظيفتة البيان والتّفسير، وعليه يرى الباحث أنّ هذه الخصائص تُؤكّد أنّ التّمييز عنصر نحوي دقيق يُسهم في ضبط البنية الإسنادية للجملة العربية، ويعكس حكمة النّحاة القدماء في تحديد وظيفة كل عنصر لغوي بدقّة.

رابعًا – دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات:

بعد تناول المبحث النّظري حول التّمييز، ومناقشة مفهومه، وأنواعه، وخصائصه ، وفقًا لما قرّر النّحاة والبلاغيون، تَبرُز الحاجة إلى تطبيق هذه القواعد على نصوص قرآنية، لفهم كيفية تجسيدها في سياق حي وفعّال.

ويأتي هذا التطبيق في إطار دراسة مكمّلات الإسناد في الجملة العربية، بوصف التّمييز أحد أبرز هذه المكمّلات التي تُسهم في تحديد المعنى وتدعيمه.

وقد وقع اختيار الباحث على آيات من السّور المسبّحات، لما تتضمنه من نماذج دالة على التّمييز، تنوّع بين تمييز النسبة وتميز المفرد، ما يُتيحُ دراسة أثر التّمييز بوصفه مكمّلًا إسناديًا في الجملة، من حيث وظيفته النّحوية والبلاغية، ودوره في تحقيق البيان وتوجيه الخطاب، ويسهم هذا الاختيار في إبراز الوظيفة الإسنادية

(1) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 289/2.

(2) ينظر: شرح كتاب الحدود في النّحو: 238/1.

(3) ينظر: توجيه اللمع: 208/1.

للتمييز في السّياق القرآني، سواء من حيث توضيح العلاقة بين الفعل والمفعول، أو تحديد جهة التّفضيل، أو تضخيم المعنى في مقام الذّم.

وفي ضوء ما تمّ عرضه من أسس نظريّة، ينتقل الباحث إلى التّطبيق العملي من خلال تحليل آيات مختارة من السّور المسبّحات بهدف الوقوف على تجلّيات التّمييز في السّياق القرآني، وتُستهلّ هذه المرحلة التّطبيقية بالآية السابعة والثلاثين من (سورة الإسراء)، لما تحمله من بنية تركيبية غنيّة، وتوظيف دقيق للتّمييز، يُبرز أثره في تحقيق البيان وتكثيف المعنى، قال تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

تتضّمن الآية الكريمة تمييزًا ظاهرًا في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، تمييز مُحوّل عن الفاعل (ولن يبلغ طولك الجبال) وهذا التّمييز هو من نوع تمييز النّسبة، إذ لا يوضّح اسمًا مبهمًا، بل يوضّح نسبة الفعل والمفعول به، ويُزيل الإبهام عن نوع الوصول المقصود، فالمعنى ليس مُجرّد بلوغ الجبال، بل بلوغها من حيث الطّول، ما يُضفي على التّركيب دقّة دلالية وبلاغية.

وقد أشار ابن هشام (ت 761هـ) إلى أنّ تمييز النّسبة يُستخدم لتوضيح المعنى الإجمالي للجملة، ويأتي غالبًا بعد الأفعال التي تحتمل أكثر من وجه دلالي[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وفجّرنا الأرض عيونًا﴾ [القمر، من الآية: 12] حيث يوضّح التّمييز نوع التفجير.

ومن الناحية النّحوية ، يُعرب (طولًا) تمييزًا منصوبًا، والعامل فيه هو الفعل (تبلغ)، وقد بيّن السّيوطي (ت 911هـ) أنّ التّمييز المنصوب بعد الأفعال يُعدّ من

(1) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام: 329/1.

الأسـاليب التي تُزيل اللبس وتُحدّد المقصـود من الفعل، خاصـة إذا كان الفعل متعديًّا إلى مفعول به يحتمل أكثر من وجه[1].

أمّا من الناحية الصّرفية، فكلمة (طَوْلًا) هي مصدر من الفعل الثلاثي (طال)، على وزن (فعل) وهي صـيغة قياسية تُستخدم للدلالة على الامتداد في البُعد الرأسـي، وتُقابل (العرض) و(العمق)، وهي كلمة جامدة لا تشـتق منها صـيغ صـرفية متعدّدة، وتستخدم غالبًا في سياقات المقارنة والتقدير[2].

وفي المعجم ورد أنّ (الطّول) هو الامتداد في الجهة الرأسـية، ويُسـتخدم في وصف الأشياء المرتفعة، مثل الجبال للدّلالة على عظمتها وعلوّها[3].

أمّا من حيث الأثر الدلالي والبلاغي، فإنّ وجود التّمييز (طولًا) يُسـهم في تحقيق البيان، ويُبرز المعنى البلاغي في تصوير عجز الإنسان مهما بلغ كبرياؤه عن بلوغ الجبال طولًا.

وقد أشـار الزمخشـرى (ت 538هـ) إلى أنّ هذا التّمييز جاء لتأكيد المعنى وتضـخيمه، وهو من أسـاليب التهويل البلاغي التي تُسـتخدم في مقام النّهي والتقريع، حيث يُراد به إظهار محدوديّة قدرات الإنسان أمام عظمة خلق الله سبحانه[4].

كما أشـار (الرازي) إلى أنّ التّمييز هنا يسـتخدم لتقريع المتكبّرين، بإظهار استحالة تحقيق ما يتوهمونه من علوٍ ورفعةٍ[5].

وفيما يتعلّق بإمكانية حذف التّمييز، فإنّ التّركيب النّحوي يسـمح بذلك، إذ يمكن القول: (ولن تبلغ الجبال)، دون أنّ يختّل البناء النّحوي، إلا أنّ الحذف هنا

---

(1) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 2/337- 343.

(2) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 8/47.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة (طول) .

(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 2/667.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب: 20/341.

يؤدي إلى نقص في البيان، ويفقد المعنى المقصـــود من التّهويل والتقريع، وهو ما يضعف الأثر البلاغي.

ويرى الباحث أنّ وجود التّمييز (طولًا) في الآية ليس مجرّد توضيح نحوي، بل هو عنصر بلاغي أساس يسهم في بناء الصورة القرآنية، ويعزّز المعنى المقصود من النّهي عن الكبر، وهذا الرأي يستند إلى ما قرّره البلاغيون من أهمية التّمييز في تقوية المعنى وتحديده، خاصةً في مقام الإنكار والتّوبيخ.

وفي سـياق التّحليل التّطبيقي للتمييز في السّـور المسـبّحات وبعد تناول الآية (37) من (سـورة الإسـراء)، التي ورد فيها تمييز النّسـبة في قوله تعالى: ﴿لنّ تبلغ الجبال طولًا﴾، ينتقل الباحث إلى الآية الثانية من الآيات المختارة وهي قوله تعالى:

﴿لَا يَسْـــتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْـــنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد، من الآية: 10] .

يتّضـح من هذه الآية أنّ التّمييز الوارد فيها هو في قوله تعالى: (درجةً)، وهو تمييز مفرد، جاء لتوضـيح اسـم التفضـيل (أعظم) الذي يُعدّ من أكثر المواطن التي يستخدم فيها التّمييز المفرد في اللغة العربية.

فقد أشـار النّحاة إلى أنّ التّمييز المفرد كثيرًا ما يأتي بعد أسـماء التفضـيل، ليُزيل الإبهام عنها ويُحدّد جهة التفضـيل[1]، كما في قوله تعالى: ﴿أكثر نَفِيرًا﴾ [الإسراء: من الآية: 6]، ويعرب (درجةً) تمييزًا مفردًا منصوبًا، يوضّح اسم التفضيل نفسه، إذ يُعدّ من الأسماء التي تعمل عمل الفعل في نصب التّمييز[2].

(1) ينظر: معاني النّحو: 329/2.

(2) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 141/14.

وقد بيّن (السيّوطي) أنّ التّمييز المفرد المنصوب بعد اسم التفضيل يُعدّ من الأساليب القياسيّة في العربية، ويُستخدم لتحديد جهة التّفضيل بدقّة[1].

(درجةً) اسم مُشتق من الجذر (درج) وهو على وزن (فَعَلَةً)، ويُستخدم للدلالة على المرتبة أو المنزلة، سواء الحسيّة أو المعنويّة، وهو اسم جامد، لكنّه يشتق منه أفعال مثل (درج)، (تدرّج)، ما يُضفي عليه مرونة دلالية.

أمّا من حيث المعنى المعجمي، فقد ورد أنّ (الدرجة) هي المنزلة وتُستخدم في السّياقات التي تدلّ على التفاضل، كدرجات الجنّة، أو مراتب العلم[2].

ودلاليًا، وجود التّمييز (درجةً) يُسهم في توضيح جهة التّفضيل بين الفريقين المذكورين في الآية، ويُبرز أنّ التفاضل ليس في ذات الأشخاص، بل في الدرجة التي نالوها عند الله، نتيجة سبقهم في الإنفاق والقتال.

وقد أشار (الزمخشري) إلى أنّ هذا التّمييز يستخدم لتحديد جهة العظمة، ويُضفي على التّركيب وضوحًا بلاغيًا يُزيل اللبس عن المقصود من التفضيل[3].

كما أشار (الرازي) إلى أنّ التّمييز هنا يبرز الفرق في المرتبة لا في الذات، وهو ما يحقّق البيان ويدعم المعنى المقصود من التّفاضل[4].

أمّا من حيث إمكانية حذف التّمييز والاستغناء عنه كونه مُكمّل، فإنّ الحذف ممكن نحويًا، إذ يُمكن القول:

(أولئك أعظم من الذين أنفقوا...)، لكنّ ذلك يُفقد المعنى دقّته، ويُبقى جهة التفضيل مُبهمة.

---

(1) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 343/2.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (درج) .

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 474/4.

(4) ينظر: مفاتيح الغيب: 452/29.

ويرى الباحث أنّ وجود التّمييز (درجةً) في هذا الموضع يُعدّ ضرورة بلاغية، لا مجرّد توضيح نحوي، إذ يُسهم في تحديد المقصود من العظمة، ويُبرز أثر السّبق في العمل الصالح على منزلة المؤمن.

وهذا الرأي يستند إلى ما قرّره النّحاة والبلاغيون من أهمية التّمييز في تحديد جهة المعنى وتدعيمه في مقام التفاضل.

وبذلك يتّضح أنّ الآيتين المُدرجتين تقدّمان نموذجين مختلفين للتمييز.

أحدهما تمييز نسبة (طولًا)، والآخر تمييز مفرد (درجةً)، وكلاهما يُسهم في تحقيق البيان وتوضيح المعنى، ويُبرز الوظيفة النّحوية والبلاغية للتّمييز في السّياق القرآني.

ويتواصل التّحليل التطبيقي للتّمييز في السّور المسبّحات، حيث تُظهر الآية التالية نموذجًا آخرًا من التّوظيف النّحوي والدّلالي للتمييز، وذلك في سياق مُختلف من حيث التّركيب والمقام البلاغي.

قال تعالى:

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر، من الآية: 13].

جاءت الآية جملة اسمية مُؤكّدة بلام الابتداء، و(أنتم) مبتدأ، و(أشد) خبر على صيغة اسم التفضيل، وقد اقتضى هذا الخبر مكمّلًا يرفع إبهامه فجيء بالتّمييز (رَهْبَةً) منصوبًا لتحديد مجال الشّدة، والجار والمجرور (فِي صُدُورِهِم) يُبيّن موضع أثر هذه الرهبة، (من الله) متعلّق بـ (أشد) لإتمام معنى المقارنة والمفاضلة بين طرفي النسبة، على ما قرّره أهل الإعراب في موضع الآية، وبيّنوا أن (رَهْبَةً) تمييز نسبة بعد اسم التفضيل يفسّر المبهم في الخبر ويُقيّده بمجال نفسي محدد[1].

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 445/11.

من جهة الصّرف (أشدّ) على وزن (أفعل) وهو صيغة التفضيل المأخوذة من مادة (شَدَدَ)، تعمل في المعنى عمل فعلها وتتطلّب غالبًا ميدانًا تُسند إليه الشدة، وقد جاء الميدان مصدرًا صريحًا هو (رَهْبَةً) من الفعل (رَهَبَ)، فنصب تمييزًا لرفع الإبهام عن النّسبة وتعيينها في هذا المصدر النفسي.

ومن جهة المعجم، فإنّ مادة (رَهَبَ) تعني خوف مع اضـــطراب النفس، وهي أخصّ من مُطلق الخوف لاشتمالها على معنى الإنكسار والهيبة. وتستعمل أيضًا في معنى الإجلال، وهو ما يجعل اختيار هذا اللفظ في سياق الآية دالًا على حالة داخلية مركّبة تتجاوز مُجرّد الخوف العابر إلى خوف ممزوج بالتّعظيم والاضطراب[1].

ودلاليًا، تصف الآية حال المنافقين واليهود في المدينة، إذ عظمت رهبتهم من المؤمنين حتى فاقت رهبتهم من الله سـبحانه، فذلك تقرير لخلل باطني في سـلّم القيم وميل إلى المداراة الظاهرية مع خوف باطن من قوّة المؤمنين، لا من مراقبة الله وعقابه[2].

أمّا بلاغيًا، فالتّمييز بعد اسـم التفضـيل يرفع إبهام (أشـدّ) وينقل الخبر من الإطلاق إلى التقييد بمجال الرهبة، فتغدو النّسبة محدّدة الميدان لا عامة[3]، ويُضيف (ابن عاشـور) أنّ هذا البناء البلاغي يُصـوّر مفارقة قيّمة صـارحة؛ إذ انقلب ميزان الخوف عندهم، فكانت شـدة رهبتهم من المؤمنين في صـدورهم أعظم رهبةً من رهبة الله. وفي ذلك تعرية لنفاق الباطن عبر هيكلة مقارنة دقيقة تجمع المسند والمسند إليه وميدان التفضيل وقطب المقارنة[4].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (رَهَبَ) : 436/1.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 536/22.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 506/4.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 101/28.

أمّا الأثر الحاصل من دخول التّمييز في هذه الآية أنّ التّمييز حوّل الإسناد من خبر عام (أنّتم أشد) إلى خبر مُقيّد بمجال نفسي (أنّتم أشد رهبةً) فانتقل المعنى من صفة مطلقة إلى توصيف نوعي يُحدّد طبيعة الشّدة، وربط ذلك بظرفية الباطن (في صدورهم) أتمّ تصوير الحالة النفسية، ثم جاءت (من الله) لتقيم مفاضلةً تُظهر الانحراف القيمي، وبذلك يتجلّى دور التّمييز بوصفه عنصرًا مكمّلًا للعلاقات الإسناديّة يُعيد تشكيل البنية الدلالية للجملة ويقوّي أثرها البلاغي.

وفي (سورة الصّف) يرد التّمييز في مقام الذّم والإنكار، ما يُضفي على التّركيب طابعًا تهويليًا يُبرز شدّة المقت الإلهي تجاه القول الذي لا يتبعه فعل، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: الآية 3].

يتجلّى التّمييز في كلمة (مَقْتًا) ، وهو تمييز من نوع تمييز النّسبة، جاء بعد فعل (كَبُرَ)، ليُزيل الإبهام عن الجملة الفعلية، ويُحدّد نوع الكِبر الذي وقع، ما يُضفي على التّركيب دقّة دلالية وبلاغية في مقام الذّم والإنكار.

ويعرب (مَقْتًا) تمييزًا منصوبًا، والعامل فيه الفعل (كبُر) [1].

وقد أشار (سيبويه) إلى أنّ التّمييز يأتي لتوضيح المعنى الإجمالي للجملة، خاصةً إذا كان الفعل متعديًا إلى معنى غير محدّد[2].

كما في قولنا : (إشتدّ حرًّا) ، حيث يُوضّح التّمييز نوع النسبة. لا مجّرد حصولها وهذا ينطبق على الآية، إذ إنّ الفعل (كبُر) يحتمل أكثر من وجه، فجاء التّمييز ليُحدد أنّ (الكِبر) هنا هو من جهة المقت، لا الحجم أو العدد.

---

(1) ينظر: الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 500/11.

(2) ينظر: الكتاب: 172/2.

و(مَقْتًا) مصـــدر من الفعل الثلاثي (مقت)، على وزن (فَعْل)، وهو مصـــدر جامد يدلّ على شـدة البغض والكراهية، ويُسـتخدم غالبًا في السّـياقات التي تُعبّر عن النّفور الأخلاقي أو الديني، لا الحسي أو الجسدي.

أمّا من الناحية المعجمية، فقد ورد أنّ (المقت) هو أشـد البغض، ويقال: مقته الله: أي أبغضـه بُغضًـا شـديدًا، ويسـتخدم في مقام الذّم، خاصـة إذا اقترن بسـلوك يخالف القول أو يظهر النّفاق[1].

ودلاليًا، فإنّ وجود التّمييز (مَقْتًا) يســـهم في توضـــيح نوع الكبر الذي وقع، ويُبرز أنّ القول بلا فعل ليس مجرّد خطأ، بل هو أمر بالغ الكراهية عند الله.

وهذا يضـفي على التّركيب قوة إنكارية، ويعزّز المعنى المقصـود من التوبيخ الإلهي[2].

أمّا من حيث البلاغة فقد أشـــار (الزمخشـــري) إلى أنّ التّمييز (مَقْتًا) جاء لتضخيم المعنى، وإبراز شدّة الإنكار، وهو من أساليب التهويل البلاغي التي تستخدم في مقام التوبيخ، حيث يراد به إظهار فداحة الفعل في ميزان القيم الإلهية[3].

كما أشار (ابن عاشور) إلى أنّ التّمييز هنا يُبرز أثر القول بلا فعل في ميزان الأخلاق، ويُضـفي على التّركيب وضـوحًا دلاليًا يزيل اللبس عن المقصـود من الذّم، ويُظهر أنّ المقـت ليس من جهـة القول فقط، بـل من جهـة التنـاقض بين القول والفعل[4].

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (مقت) .

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 607/22.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 523/4.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 174/28.

أما من حيث إمكانية الحذف، فإنّ التّمييز (مقتا) يُمكن حذفه نحويًّا، ويقال: (كبُر عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)، دون أنّ يختلّ التّركيب النّحوي، إلّا أنّ الحذف يُفقد المعنى بلاغته، ويُضعف أثر التهويل، ويبقي نوع الكبر مبهمًا.

ويرى الباحث أنّ وجود التّمييز هنا يُعدّ ضـــرورة بلاغية، لا مُجرّد توضـــيح نحوي، إذ يُســـهم في تحديد نوع الكبر، ويُبرز أثره في مقام التوبيخ، ما يعزّز المعنى المقصود من الإنكار والتهويل.

وهذا الرأي يســـتند إلى ما قرّره النّحاة ومنهم (ســـيبويه)، والبلاغيون مثل (الزمخشري وابن عاشور) في أهمية وجود التّمييز من الناحية الدلالية والبلاغية.

ويظهر التّمييز في مواضع أخرى من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]

يُعرب (سَـبِيلًا) تمييزًا منصـوبًا، وهو من تمييز النّسـبة؛ إذ جاء بعد صـيغة (أضّل) لرفع الإبهام عن جهة الضّلال، فبيّن أنّ الضّلال واقع في السّبيل أي الطريق والمنهج، لا في الكم أو الذات[1].

وقد نصّ النّحاة على أنّ التّمييز يأتي بعد الصـفات وأفعل التفضـيل لتوضـيح وجه المفاضلة، كما في قولهم (هو أحسن وجهًا) ، (فلان أكرم خلقًا).

ومن النّاحية الصـرفية، (أضّـل) على وزن (أفعلُ) من الفعل (ضـلّ)،(سـبيل) اســـم جامد ثلاثي الجذر (س ب ل) يدلّ على الطريق والنهج، وهو هنا منصـــوب ووزنه (فعيل) للدلالة على النّكرة التفّسيرية.

مُعجميًا، (الســـبيل) في اللغة الطريق المســـلوك، ويســـتعمل مجازًا للمنهج والوجهة[2]، ومنه قوله تعالى:

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: 89/8.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (سبل) .

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

أي طريقي ومنهجي.

وبلاغيًا، دخول التّمييز أحدث أثرًا بالغًا؛ إذ جعل الضّلال (مقيّدًا) بالسبيل نفسه، أي أنّ العمى في الدنيا يُؤدّي إلى ضلال أشدّ في الآخرة، فيفقد صاحبه معيار السّير ويعجز عن بلوغ طريق الهداية[1].

وهذا أقوى من إطلاق (أضلّ) بلا تقييد، لأنّه يُوحي بالانقطاع التّام عن منهج الحق، ويرى البلاغيون أنّ التّمييز هنا يُحقق وظيفة البيان ويقوّي الحكم، لأنّه يُحدّد مجال الضّلال ويزيل الإبهام، فيتّضح المعنى ويشتدّ الوعيد .

ويتّضح أنّ اختيار التّمييز في هذا الموضع ينسجم مع سنن العربية في الصفات، حيث يُستعمل التّمييز لبيان محل المفاضلة وهو ما يُبرز دقّة الأسلوب القرآني في توظيف التّمييز لخدمة المعنى وتكثيف الدّلالة.

وبذلك يظهر استمرار التنوّع التّركيبي والدلالي لمكمّلات للإسناد في السّور المسبّحات، حيث يُوظّف التّمييز مرة لتحديد جهة التفضيل، ومرة لتوضيح نسبة بين فعل ومفعول، ومرة لتضخيم المعنى في مقام الذّم، ولتقييد مجال التّفضيل في سياق المقارنة، ما يُبرز ثراء التّركيب القرآني، ودقّة التوظيف البلاغي في خدمة البيان.

وتبيّن من خلال التّحليل النّحوي والبلاغي أنّ التّمييز في كل الآيات قد أُحسن توظيفه، بما يخدم السّياق القرآني، ويُبرز دقّة التّركيب في بيان المعنى وتدعيمه.

حيث تنوّع التّمييز بين تمييز النّسبة وتمييز المفرد، ما يُظهر ثراء الأساليب النحوية في القرآن الكريم، وتعددت وظائفه بين التوضيح والتّفضيل والتّقرير.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 170/15.

ففى الآية (37) من (سـورة الإسـراء)، جاء التّمييز (طولًا) ليُزيل الإبهام عن الفعل (تبلغ)، ويُحدّد جهة العجز البشري، وهو ما يُعدّ من تمييز النّسبة، أمّا في آية (سـورة الحديد) ورد التّمييز (درجةً) بعد اسـم التفضـيل (أشـدّ) ليُحدّد مجال الشـدّة ويُقيّدها في صدورهم وهو من تمييز النّسبة بعد اسم التفضيل، ما يُبرز دقّة التقييد في السـياق القرآني، وفي (سـورة الصـف) جاء التمييز (مقتًا) بعد الفعل (كبر)، ليضـفي على المعنى طابعًا تهويليًا في مقام الذّم، وهو أيضًـا من تمييز النّسـبة، وجاء التمييز في الآية (72) من (سورة الإسراء) منصوبًا حيث كان بعد صيغة التفضيل (أضلّ) وجاء لرفع الإبهام عن جهة الضلال.

وقد بيّن البلاغيون أن التمييز يسـهم في تحقيق البيان ويزيل اللبس عن المقصود، ويعزّز الوظيفة الإسنادية في التركيب.

وفي ضوء هذه الآراء يرى الباحث أنّ التمييز في الآيات لم يكن عنصرًا زائدًا أو تجميليًا، بل كان ضرورة تركيبية وبلاغية، يسهم في تحديد المعنى وتدعيم المقام، وتحقيق البيان.

فوجود التمييز في كل موضـع يُبرز دقّة التعبير القرآني، ويُظهر كيف يوظف النّحو والبلاغة في خدمة المعنى، ما يُؤكّد أنّ التمييز في القرآن ليس مجرد وظيفة نحوية، بل هو أداة بيانية تسهم في بناء الصورة وتوجيه الخطاب. ويتّضح من خلال هذا المبحث أنّ التّمييز أحد أهم مكمّلات الإسـناد في البنية العربية، لما ينهض به من دور في إزالة الغموض وتحديد المقادير وتوضيح المعاني الكامنة في التركيب.

وقد بيّنت الدراسـة النظرية أن النّحاة على اختلاف آرائهم في العامل فيه وموقعه، أجمعوا على كونه عنصرًا مفسّرًا ومتمّمًا للعلاقة الإسنادية، لا يستقيم المعنى بدونه في كثير من المواضع.

أما الدراسة التطبيقية في الآيات القرآنية المختارة من (سور المسبّحات)، فقد كشـفت عن دقّة التراكيب القرآنية في توظيف التمييز، بما يخدم المعنى ويعمّق

الدلالة، فجاء التمييز في بعض المواضع لتحديد الكم وفي أخرى لتوضيح النسبة، وفي مواضع متعدّدة لإبراز المقصد البلاغي في السياق القرآني.

وقد أظهرت نتائج هذا المبحث أنّ التّمييز يُعدّ مكوّنًا إسناديًّا يُحقق الاتّساق الدّلالي داخل الجملة ويكمل المعنى، كما يُؤدّي في النّص القرآني وظيفة مزدوجة نحويّة وبلاغيّة تتجاوز حدود التحديد الإعرابي إلى الإيحاء الدّلالي، كما أنّ تنوّع صيغ التّمييز ومواضعه يدلّ على مرونة البنية الإسنادية في اللغة العربية، وقابليتها للتحوّل دون إخلال بالمعنى، ما يعكس قدرة هذا العنصر النّحوي على التكيّف مع السّياقات المختلفة.

ويتبيّن من هذا الفصل أنّ مكمّلات الإسناد في الجملة العربية، ممثلة في المفاعيل، والحال، والتّمييز، تُؤدّي دورًا محوريًا في تحقيق الاتّساق بين البناء والدّلالة، وتحديد العلاقات الإسنادية بدقّة داخل النّص القرآني، فقد أظهرت الدراسة أنّ المفاعيل توسّع دائرة المعنى وتحدّد جهة الفعل، وأنّ الحال يُضفي بعدًا تصويريًا وبلاغيًا، بينما يرفع التّمييز الإبهام ويوضّح المقادير والنّسبة، جامعًا بين الوظيفة الإعرابية والإيحاء الدلالي.

وتُؤكّد النّتائج أنّ هذه المكمّلات ليست إضافات ثانوية، بل عناصر بنائية أساسية، ويصبح الربط بين التحليل النّحوي والبلاغي عند تناولها ضروريًا لفهم دقّة التراكيب القرآنية وثراء التّعبير العربي، خاصّةً في النّص القرآني الذي يُعدّ النّموذج الأعلى في توظيف هذه العناصر لخدمة المعنى والبيان.

وتوصي الدراسة بضرورة إعادة النّظر في مكمّلات الإسناد، ومنها المفاعيل بوصفها عناصر فاعلة تحقّق الانسجام التّركيبي والدّلالي، لا مُجرّد فضلات نحويّة، كما تدعو الباحثين إلى دراسة التّحولات الإسنادية في المكمّلات الأخرى ومقارنة وظائفها الدّلالية والبلاغية في ضوء النّص القرآني.

الخاتمة

وبعد أن تناولت هذه الدّراســـة أثر تحوّل العلاقات الإســـنادية ومكمّلاتها في الجملة العربية من خلال منهج وصـــفي قائم على التحليل اللغوي، واســـتعرضـــت مظاهرها في الجملة الاســمية والفعلية وما يتّصــل بها من مفاعيل وحال وتمييز، فقد أبانت عن جوانب مهّمة في بنية التّركيب العربي، وأســهمت في الكشــف عن طبيعة هذه العلاقات ودورها في إثراء المعنى وتوسيع الدّلالة.

وقد مكّن هذا العرض من الوصــول إلى نتائج علمية تُبرز ملامح الموضــوع وتفتح آفاقًا لدراسات لاحقه أكثر عمقًا وتفصيلًا.

النتائج العامة للرسالة:

1. التحوّلات الإســـنادية والمكمّلات التّركيبية تُؤدّي دورًا جوهريًا في بناء المعنى، وتُســهم في ضــبط العلاقات بين عناصــر الجملة، بما يُراعي السّــياق الدلالي والبلاغي.
2. النّواســـخ الفعليّة والحرفية تُعيد تشـــكيل البنية الاســـمية، وتُغيّر موقع المبتدأ والخبر، ما يُبرز مرونة التّركيب العربي في خدمة المعنى.
3. التحوّلات في الجملة الفعلية كالتّقديم والتّأخير، والذّكر والحذف، تُســـهم في تخصيص الدّلالة، وتوجيه الخطاب، وتظهر أنّ المعنى لا يتكوّن من العناصر فقط، بل من ترتيبها وسياقها.
4. المفاعيل تُحدّد جهة الفعل ومآله وظرفه وســـببه، وتُبرز العلاقات الإســـنادية داخل الجملة، ما يعكس وظيفتها النّحوية والدّلالية.
5. الحال تُبيّن هيئة صـــاحب الفعل، وتُضـــفي على الجملة طابعًا تصـــويريًّا وانفعاليًا، يعزّز الأثر البلاغي ويُسهم في بناء الصورة الخطابية.

6. التّمييز يُزيل الإبهام، ويُحدّد المقصود من النّسبة أو الكميّة أو الفعل، ويُسهم في بناء المعنى الأخلاقي والتّقويمي، ويُبرز دقّة التعبير في السّياق القرآني.
7. التّحليل التّطبيقي في السّور المسبّحات أظهر أنّ هذه الظّواهر تُوظّف بدقّة في السّياق القرآني، وتراعي التّرتيب المعنوي قبل التّركيبي. ما يُبرز إعجاز اللغة في خدمة المعنى والبيان.

التوصيات:

1. ضرورة إعادة النّظر في تصنيف بعض المكمّلات الإسنادية على أنّها فضلات تركيبية، خاصة في السّياقات التي تُظهر أنّ حذفها يُضعف المعنى ويُربك الدّلالة.
2. الدعوة إلى تكثيف الدّراسات التّطبيقية في الظواهر النّحوية في القرآن وربطها بالسّياق الدّلالي والبلاغي، لا الاكتفاء بالإعراب المجرّد.
3. أهميّة الجمع بين التّحليل النّحوي والصّرفي والمعجمي والبلاغي، لفهم وظيفة العلاقات الإسناديّة ومكمّلاتها في النّصوص القرآنية.
4. تشجيع الباحثين على دراسة الجملة العربية في ضوء السّياق الكامل لا في الجملة المعزولة فقط، لأنّ المعنى يتكامل عبر السّياق.
5. توسيع نطاق الدّراسة ليشمل عناصر أخرى من التحوّل التّركيبي، مثل الاستفهام، والشّرط، والقسم، والتوكيد، في سور قرآنية مختلفة، بهدف بناء تصوّر شامل لوظيفة العلاقات الإسنادية في الخطاب العربي.
6. اقتراح إجراء دراسة مقارنة بين مكمّلات الإسناد في القرآن الكريم والنّصوص الأدبيّة، كالشّعر والنّثر الفنّى، لرصد الفروق الأسلوبية والبلاغية، وتحديد الخصائص التركيبيّة التي تميّز كل نوع من الخطاب.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	5	86-87
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ...	البقرة	184	22-27
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ...	البقرة	189	61
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ...	البقرة	190	79
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا...	البقرة	72	122
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ...	النساء	28	101
لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ...	النساء	148	79
اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾	المائدة	3	13
فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ...	المائدة	41	61
إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ...	التوبة	36	159
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ...	هود	44	78
وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ	يوسف	16	141
وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...	يوسف	18	33
قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى...	يوسف	108	172
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا...	الإسراء	1	135
وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى...	الإسراء	2	127
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...	الإسراء	3	49
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...	الإسراء	6	165
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ	الإسراء	8	51

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي...	الإسراء	9	63
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ...	الإسراء	11	44
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا...	الإسراء	18	146
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ...	الإسراء	28	122
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...	الإسراء	37	163
تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ...	الإسراء	44	152
وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ...	الإسراء	72	171
وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي...	الإسراء	73	54
قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا...	الإسراء	109	89
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ...	الإسراء	110	122
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ...	مريم	3	159
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي...	مريم	46	30
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	المؤمنون	1	79
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ	المؤمنون	60	87
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ...	القصص	20	141
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ...	القصص	79	142
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ...	الأحزاب	41	136
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ...	الصافات	147	141
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ...	الزمر	10	أ
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ...	غافر	17	122
هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا...	غافر	68	101

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ...	فصّلت	45	33
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ...	القمر	12	159
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...	الحديد	1	107
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي...	الحديد	2	108
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي...	الحديد	10	165
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ...	الحديد	11	133
يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا...	الحديد	13	65
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي...	الحديد	21	79
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ...	الحشر	5	91
وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ...	الحشر	6	67
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ...	الحشر	7	95
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ...	الحشر	13	167
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي...	الحشر	14	147
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ...	الصف	3	169
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا...	الصف	14	56
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...	الجمعة	1	79
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ...	الجمعة	5	149
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي...	الجمعة	10	69
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ...	التغابن	6	58
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا...	التغابن	16	110
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ	الحاقة	30–31	87

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ	التكوير	22	62
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ	الأعلى	7	72
إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ	الأعلى	18	72
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	الفجر	24	77
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ...	البيّنة	1	80
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	الإخلاص	3	79

فهرس المصادر والمراجع:

أوّلًا- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع:

1. أســـاليب بلاغية، أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.
2. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م.
3. الأصـول في النّحو، أبو بكر محمد بن السـري، المعروف بابن السـرّاج، تحقيق: عبدالحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
4. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، الإرشـــاد للشـــؤون الجامعية، حمص سورية، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1415هـ.
5. الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتل، بهجت عبدالواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط2، 1418هـ.
6. الإنصـاف في مسـائل الخلاف، كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، ط1، 2003م.
7. أوضـح المسـالك إلى ألفيه ابن مالك، جمال الدين عبدالله بن هشـام الأنصـاري، تحقيق: بركات يوسف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2000م.
8. البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن الميداني، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1996م.
9. تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.
10. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشـــور، الدار التونســـية للنشـــر، تونس، 1984م.

11. التطبيق النّحوي، عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1999م.
12. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1983م.
13. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
14. توجيه اللمع، أحمد بن حسن بن الخباز، تحقيق: أ.د فايز زكي دياب، دار السلام للطباعة، مصر العربية، ط2، 2007م.
15. توضيح المقاصد والمسالك، أبو محمد بدر الدين المصري المالكي، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 2008م.
16. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.
17. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
18. الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، دار الرشيد – دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط3، 1995م.
19. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
20. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط2، 1999م.
21. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبدالقاهر عبدالرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنى، القاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1992م.

22. سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية، فاضل ضايف سلطان، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الاجازة العليا "الماجستير"، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، سنة 2007م.
23. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين بن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م.
24. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط20، 1980م.
25. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط9، 1998م.
26. شرح ألفية ابن مالك، محمد بن صالح بن محمد العثيمين.
27. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبدالله بن يوسف بن أحمد، جمال الدين ابن هشام، تحقيق: عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.
28. شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبدالله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة السعادة،ط 11، 1963م.
29. شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبدالله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1982م.
30. شرح كتاب الحدود في النّحو، عبدالله بن أحمد النّحوي المكي، تحقيق: د. المتولي رمضان الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993م.
31. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن المزربان، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي – دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

32. شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001م.
33. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب سيبوية، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1988م.
34. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1987م.
35. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
36. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5، 2006م.
37. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت.
38. معاني النّحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2000م.
39. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 2008م.
40. المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة اسطنبول، دار الفكر، بيروت، وغيرهما، ط2، 1972م.
41. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: د. علي بوملجم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
42. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

43. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1969م.
44. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبدالأكبر، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت.
45. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
46. المنهاج المختصر في علمي النّحو والصرّف، عبدالله بن يوسف بن عيسى الجديع العنزي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط3، 2007م.
47. النّحو المصفّي، محمد عيد، مكتبة الشباب، ط1، 1971م.
48. النّحو الواضح في قواعد اللغة العربية، علي الجارم ومصطفي أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.
49. النّحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط15.
50. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهـــــداء	ب
الشّكر والتّقدير	ج
الملخّص	د
المقدّمة	1
مشكلةُ الدراسة	2
تساؤلاتُ الدراسة	2
أهداف الدراسة	3
أهميّة الدّراسة	3
صعوبات الدراسة	4
هيكلية الدّراسة	5
التّمهيد	6
ثانيًا- التحوّل	12
ثالثًا- العلاقة	12
رابعًا- الإسناد	12
خامسًا- المكمّل	13
سادسًا- السورة	14
الفصل الأوّل **العلاقات الإسنادية في البنية الاسمية**	**16**
توطئة	17
المبحث الأوّل: مكوّنات الجملة الاسمية	19

العنوان	الصفحة
أولًا– مفهوم المبتدأ والخبر	22
ثانيًا– أنواع المبتدأ والخبر	27
ثالثًا– حذف المبتدأ والخبر	31
المبحث الثاني: أثر عناصر التّحويل على الجملة الاسمية	39
توطئة	40
أولًا– النّواسخ الفعلية	42
1– كان وأخواتها	42
2– كاد وأخواتها	44
3– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	48
ثانيًا– النّواسخ الحرفية وأثرها في البنية الاسمية	59
1– الحروف المشبهة بالفعل (العاملة عمل إن)	60
2– الحروف المشبهة بالفعل (العاملة عمل ليس)	62
3– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	63
الفصل الثاني **العلاقات الإسنادية في الجملة الفعلية**	**74**
توطئة	75
المبحث الأوّل: مكوّنات الجملة الفعلية	76
أولًا– الأفعال	77
1– الفعل اللازم والمتعدي	77
2– الفعل المبني للمجهول	78
ثانيًا– الجملة الفعلية المثبتة والمنفيّة	78
1– الجملة الفعلية المثبتة	78
2– الجملة الفعلية المنفيّة	79
المبحث الثاني: أثر التحوّلات التّركيبية في البنية الفعلية	82

العنوان	الصفحة
توطئة	83
أولًا– التّقديم والتّأخير في الجملة الفعلية	84
1– مفهوم التّقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا	84
2– أنواع التّقديم في الجملة الفعلية	85
3– الأغراض البلاغية التي يحققها التّقديم	86
4– آراء النّحاة والبلاغيين	88
5– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	89
ثانيًا– الذّكر والحذف في الجملة الفعلية	99
توطئة	99
1– مفهوم الذّكر والحذف	100
2– أنواع الحذف	100
3– أغراض الحذف	101
4– آراء النّحاة والبلاغيين	102
5– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	103
الفصل الثالث **مكمّلات الإسناد في الجملة العربية**	**116**
المبحث الأوّل: المفاعيل وأنواعها	119
أولًا– مفهوم المفاعيل	120
ثانيًا– أنواع المفاعيل	120
ثالثًا– آراء النّحاة في عوامل المفاعيل	124
رابعًا– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	127
المبحث الثاني: الحال في النّحو العربي	138
توطئة	139
أولًا– مفهوم الحال في اللغة والاصطلاح	139

العنوان	الصفحة
ثانيًا– أنواع الحال وآراء النّحاة فيها	140
ثالثًا– خصائص الحال	143
رابعًا– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	145
المبحث الثالث: التّمييز وأنواعه	156
توطئة	157
أولًا– مفهوم التّمييز في اللغة والاصطلاح	157
ثانيًا– أنواع التّمييز وآراء النّحاة فيه	158
ثالثًا– خصائص التّمييز	161
رابعًا– دراسة تطبيقية في السّور المسبّحات	162
الخاتمة	175
النتائج العامة للرسالة	175
التوصيات	176
فهرس المصادر والمراجع	182
فهرس الآيات القرآنية	178
فهرس المحتويات	187